كلنـا إخــــوة

شيعة .. و .. سنة .!

الناشــر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٢٥٦٩ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى : 2 - 401 - 270 - 977
جمع وطبع : **عربية للطباعة والنشر**
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣

الطبعة الأولى : محـرم ١٤١٩ هــ مايـو ١٩٩٨م .
تصميم الغلاف الفنان : محمد حجى

إلى من يهمه أمر هذه الأمة من الملوك والرؤساء، والأئمة

كلنا إخوة

شيعة .. و .. سُنَّة .!

دكتور عبد الودود شلبى

الناشر
الدار المصرية اللبنانية



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء - آية رقم ٩٢]



مصر أُمُّ الدنيا

مارأيت بلدًا من بلاد الإسلام يتسم
بالسماحة وكرم الضيافة
كمصر . . وشعب مصر . .
وما رأيت بلدًا من بلاد الإسلام تذوب فيه
الفروق بين الطوائف والمذاهب
كمصر . . وشعب مصر . .
وما رأيت بلدًا من بلاد الإسلام يسود فيه
الإخاء والتسامح ، وينبذ الكراهية والتعصب
كمصر . . وشعب مصر . .
إن مصر هى أم الدنيا ـ وقبل ذلك
وبعده ـ هى مَلاذُ المسلمين ومَثَلُهم
الأعلى . . ! .

المجاهد الجزائرى القديم
المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمى
رئيس جمعية علماء الجزائر الأسبق



السياسى الحاذق

السياسى الحاذق مَنْ يمسك بيده
كل خيوط اللعبة ، يشد حيناً ويرخى
حيناً آخر ، فمن يظنه عدوه اليوم
قد يكون غدًا أقرب مُناصِريه
فى وقت الحاجة والشدة . . ! .

(الإمبراطور الألمانى)
بسمارك



الفصل الأول

البحث بين الأنقاض

الحقيقةُ مِنَ الحَقِّ
والحقُّ هو الله . . !
فإذا عرفت الحقيقة
فقد عرفت الله . . !

(البيرونى ـ الفيلسوف المسلم)

البداية من « كُتَّاب القرية »

هذا « الكُتَّاب » [1] كان المدرسة الأولى لطفلٍ من أُسرة متدينة تريد لابنها مكاناً بين علماء الأزهر الشريف ، وأن يكون من بين أصحاب «الأعمدة » التى يتحلق حولها العلماء والطلبة فى هذا المسجد العريق . . ! .

كنت أتصور هذا « العمود » الذى يحلم به الآباء والأمهات مثل «عمود » السرير الذى كان معروفاً فى ذلك العهد ، فلم أكن أعرف شيئًا عن نظام التعليم فى الأزهر فى ذلك الوقت ، وكان خيالى كله منحصرًا فيما تقع عليه عيناى داخل البيت ، أو فى القرية والحقل . . !

كانت قريتنا ـ دون سائر القرى التى تحيط بها ـ معروفة بالتدين ، كما كان « للجمعية الشرعية » التى أسسها الإمام القطب الشيخ محمود خطَّاب أثر واضح فى معظم سكان هذه القرية . . لم يكن هناك رجل بغير لحية ، كما كان عدد طلاب الأزهر فيها يقترب من المائة ، ولا تكاد تخلو سنة من سنوات التعليم فى الأزهر من ستة طلاب أو سبعة .

---

(١) الكُتَّاب أو المكتب : مكان صغير لتعليم الصِّبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن الكريم [انظر : المعجم الوسيط ـ ج ٢ ـ مادة : كتب] .

كانت تصدر عن الأزهر في ذلك الوقت مجلة اسمها « نور الإسلام»، والتى غُـيِّـرَ اسمها ـ فيما بعد ـ إلى « مجلة الأزهر » . . كانت هذه المجلة تصل إلى الكثيرين من العلماء والطلبة ، فكان والدى ـ رحمه الله ـ يحمل إلى أحيانًا بعض أعداد هذه المجلة .

ولأول مرة أسمع عن طائفة اسمها « الشيعة » ـ لا تَنْسَ أيها القارىء أننى كنت لا أزال طفلا فى كُتَّاب القرية ـ وعمرى فى ذلك الوقت لم يتجاوز السنة التاسعة . فى هذه المجلة ـ أى مجلة « نور الإسلام » ـ قرأت مقالاً يقول فيه كاتبه عن « الشيعة» : إنهم يزعمون أن الرسالة النبوية كانت موجهة أصلاً إلى « الإمام على » ، وأن « جبريل » أخطأ العنوان فسلمها ـ بدلاً منه ـ أى من الإمام علىٍّ إلى النبى ... ! » .

رسالة الشيخ سليم البشرى إلى الإمام

الشيعى عبد الحسين العاملى :

فى ذلك الوقت ـ أى فى بداية الثلاثينيات ـ لم تكن هناك أية علاقة بين علماء الإسلام من الشيعة أو السنة ، ولم يحاول أى من الطرفين ردم هذه الفجوة وإقامة جسور التعاون والإخاء بين هذه الطائفة وهذه الطائفة ، حتى الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى ـ شيخ الأزهر الأسبق ـ يقول فى رسالة له إلى الإمام الشيعى الكبير عبد الحسين العاملى [1] :

(١) كتاب المراجعات ـ ص ٣٨ ـ الطبعة السابعة عشرة ـ مطبعة النجاح ـ القاهرة .

« إنى لم أتعرف فيما مضى من أيامى دخائل الشيعة ، ولم أَبْلُ أخلاقهم ، إذْ لم أجالس أحدهم ، ولم أستبطن سوادهم ، وكنت متلعلعًا إلى محاضرة أعلامهم ، حران الجوانح إلى تخلل عوامهم ، بحثًا عن آرائهم، وتنقيبًا عن أهوائهم ، فلما قدر الله وقوفى على ساحل علمك المحيط ، وأرشفتنى ثغر كأسك المعين ، شفى الله بسائغ فُراتك أُوامى[1]. ونضح عطشى . وكنت أسمع أَنَّ مِنْ رأيكم - معشر الشيعة - مُجانبة إخوانكم - أهل السنة - وانقباضكم عنهم ، وأنكم تأنسون بالوَحْشَة ، وتخلدون إلى العُـزْلَة ، وأنكم ... وأنكم ... لكنى رأيت منك شخصًا رقيقَ المُنافَثة[2] ، دقيقَ المباحثة ، شهيَّ المجاملة ، قوى المجادلة ، لطيف المفاكهة شريف الـمُعَارَكة ، مشكور الملابسة ، مبرور المنافسة ، فإذا الشيعى ريحانة الجليس ، ومُنْيَة كل أديب .

وإنى لَواقِف على ساحل بحرك اللُّجِّيّ ، أستأذنك فى خوض عُبابه، والغوص على درره ، فإنْ أَذِنْتَ غُصْنَا على دقائق وغوامض تَـحُوك فى صدرى منذ أمد بعيد ، وإلاَّ فالأمر إليك ، وما أنا فيما أرفعُه بباحثٍ عن عثرة ، أو مُتَتَبِّع عَـوْرَة ، ولا بمفنِّدٍ أو مُنَدِّد ، وإنما أنا نشَّاد ضالة ، وبحَّاث عن حقيقة ، فإن تبين الحق فإنَّ الـحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، وإلاَّ فأنا كما قال القائل :

نحن بما عندنا وأنت بمـا عنـ ـدك راضٍ والـرأى مـختلف

---

(١) الأُوام : حرارة العطش .

(٢) المنافثة : المناجاة .

وسأقتصر ـ إنْ أذنت ـ فى مراجعتى إياك على مبحثين :

أحدهما : فى إمامة المذهب أصولاً وفروعاً .

وثانيهما [1] : فى الإمامة العامة ، وهى الخلافة عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . وسيكون توقيعى فى أسفل مراجعاتى كلها (س)، فليكن توقيعك (ش) ، وأسلفك رجاء العفو عن كل هفوة ، والسلام » .

(س)

* * *

وفى رده على رسالة شيخ الأزهر قال الإمام العاملى :

« السلام على مولانا شيخ الإسلام ورحمة الله وبركاته . .

خَـوَّلتنى بكتابك العطوف من النعم ، وأوليتنى به من المنن مايعجز عن أداء حقه لسان الشكر ، ولا يستوفى بعض فرائضه عمر الدهر .

رميتنى بآمالك ، ونزعت إلىَّ برجائك ، وأنت قِبْلَةُ الراجى ، وعصمة اللاجى ، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمال ، وحططت بفنائك ما شددت من الرحال ، منتجعًا علمك ، مستمطرًا

---

(١) لم يكتف بالاستئذان ، حتى بين فيه الموضوع الذى ستدور عليه رحى البحث بينهما ، وهذا من كماله وآدابه فى المناظرة ، ولا يخفى لطف الرمزين (س) و (ش) ، و مناسبتهما ، فإن «السين) إشارة إلى اسمه « سليم » وكونه سنيًّـا ، و (الشين) إشارة إلى لقبى (شرف الدين) وكونه شيعيًّا .

فضلك ، وسأنقلب عنك فى الرجاء قويَّ الأمل ، إلاَّ أن يشاء الله تعالى .

استأذنت فى الكلام ـ ولك الأمر والنهى ـ فَسَلْ عَمَّا أردت ، وقُلْ ماشئت ، ولَكَ الفضل ، بقولك الفصل ، وحكمك العدل ، وعليك السلام » .

(ش)

* * *

الدكتور على شريعتى والتعصب :

بل حدث فى عام ١٩٦٩ م أن عاد المفكر والفيلسوف الإيرانى الدكتور على شريعتى من باريس إلى طهران ، مبشرًا بالوحدة الإسلامية ، انطلاقًا من مبادىء التشيع الأصيل الذى أسماه «العلوى» ليميزه عن التلوث الذى أصابه فى العصر الصفوى .

فى طهران أسس على شريعتى (حسينية الإرشاد) ، وبدأ يخاطب منها جماهير الشيعة بكلام بَدَا غريبًا على الأذهان ، مما جذب انتباه البعض ، وأثار آخرين وصدمهم . . ! .

هاجم « شريعتى » بشِدَّة الخلافَ و التعصب بين السُّنة والشيعة ، حيث قال ـ وهو يستعيد بمرارة بالغة ذكرياته عن الحج ـ إن بعض رجال السنة : « كانوا يعقدون اجتماعات للتنديد بالشيعة وتكفيرهم ، واعتبارهم رافضين . . ويحاولون إقناع الناس بأن الشيعة ، لايؤمنون بالقرآن ، بل ويعتقدون بعدم وجود قرآن على الأرض . . ويذهبون إلى

القول بأن القرآن غائب مثل الإمام . . وأنه كان دومًا فى يد الأئمة ... » .

ثم قال : « إن الوجه الآخر لذلك التعصب ، ولتلك المحاولات غير الشريفة لتزوير الحقائق هو موقف بعض فقهاء الشيعة الذين يقولون : إن العدو الرئيسى هم أولئك السنة العمريون ، فهم أضرموا النار فى بيت فاطمة الزهراء ، وهم اغتصبوا (فدك) ـ وهى أرض قيل إن السيدة فاطمة ورثتها عن النبى ـ لذلك فهم أسوأ من اليهود «وبنى إسرائيل » وعَقَّبَ على ذلك ساخرًا بقوله :

« إن مثيرى الفتن المذهبية لدى الشيعة ، يقدمون للناس نصوصاً وأقوالاً من كُتَّاب ورجال دين « سنة » تهاجم الشيعة والإمام على ... وذلك لتشويه الوجه الحقيقى للتسنن المحمدى ، بينما لا يشيرون إلى أعمال تاريخية خالدة قام بها فقهاء من السنة حول تاريخ الشيعة وأئمتها ، ثم إن مثيرى الفتنة المذهبية لدى السنة ، يستخدمون نصوصًا من بعض فرق الغُلاة الذين يرفضهم فقهاء الشيعة الحقيقيون ليقولوا للناس بأن الشيعة غير مسلمين ، وهم أعداء للسنة ... » .

وأضاف « شريعتى » : « إن التسنن الأموى والتشيع الصفوى شبيهان ، وهما يكملان بعضهما البعض ، ولا علاقة لهما بالتشيع العلوى الصحيح ، ولا بالتسنن النبوى الصحيح » .

وقال : « إن المعركة المثارة بين الشيعة والسنة هى معركة التسنن الأموى والتشيع الصفوى ، وهى مثارة من أجل إلهاء المسلمين عن

معركة الإسلام ضد الصهيونية . إنها معركة تطرح قضية اغتصاب «فَدَك » لتلهى المسلمين عن اغتصاب فلسطين »[1] .

ولم يكن هذا أغرب ما قاله على شريعتى ، ولكن الأغرب هو ما ذهب إليه من دفاع عن الدولة العثمانية ، والأشد غرابة أنه هاجم بشدة الدولـة الصفويـة ، التـى فرضـت التشيع فى إيـران ، حتى اعتبرهـا « العدو اللدود للإسلام » . . ! .

فإذا كان الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى، يعترف أنه لم يكن يعرف فى هذا الوقت شيئًا عن دخائل الشيعة ، فماذا يمكن أن يعرفه عوام أهل السنة أو عوام الشيعة ؟ ! وهل يُلام الدكتور « على شريعتى» عندما يتهم الجميع بالجهالة وسوء الظن والغفلة ؟ ! لم يكن من المستغرب إذن أن يقول سُـنِّىٌّ جاهل إن طائفة الشيعة تؤمن بأن الرسالة كانت موجهة أصلا إلى الإمام على ... وأن جبريل أخطأ العنوان فوجه الرسالة إلى النبى محمد ! .

أعرف أنى أخوض فى بحر لُـجِّىٍّ متلاطم الموج ، بل فى وادٍ مملوء بالحيات والعقارب والسم . . ! لكن القلم الذى لا يكتب الحقيقة يستحق الكسر . . ! والكاتب الذى يخون أمته وضميره يستحق الموت . . ! .

---

(١) فاضل رسول ـ هكذا تكلم على شريعتى ـ دار الكلمة ببيروت ، ط ١٩٨٢، ص ٥٠ ـ ٥١ . نقلا عن كتاب « العودة إلى الذات » ص ١٧ د/ إبراهيم دسوقى شتا .

تجربتى الشخصية فى مكتب الشيخ شلتوت :

فى بداية الستينيات من هذا القرن كنت أعمل سكرتيرًا فنيًّا فى مكتب الإمام الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت . . وقد يَسَّـرَتْ لى الأقدار فى هذا الوقت التعرف على كثيرين من علماء الشيعة . . كما أتيح لى الاستماع إلى الكثير مما كان يُقال بينهم وبين الإمام الأكبر ، كما كنت أقوم بالرد على رسائلهم التى يبعثون بها إلى شيخ الأزهر ، سواء أكان هؤلاء الكاتبون من « جبل عامل » فى لبنان ، أو من « النجف الأشرف » فى العراق ، أو من علماء « الحوزة العلمية » فى مدينة «قُمْ» بإيران .

لم أكن أجد فرقًا بين ما يكتبه الإمام الأكبر فى مصر ، وبين مايكتبه هؤلاء العلماء فى لبنان أو العراق أو « قُمْ » . . الجميع كان يكتب بلغة واحدة ، هى لغة الإخوة فى الإيمان . . والجميع كان يهدف إلى هدف أَسْمَى ، وهو « وحدة الأمة المسلمة » فى هذا الزمان .

بل أذكر ـ للتاريخ ـ أنى التقيت فى موسم الحج عام ١٣٩٠ هـ وفى فندق « جدة بالاس » فى مدينة جدة . . التقيت بالمرجع الشيعى الكبير محمد حسين آل كاشف الغطاء . . وتحاورنا فيما يجب عمله لوحدة الأمة ، ونبذ أسباب العداوة والفرقة .

فقال لى الشيخ « آل كاشف الغطاء » :

« لقد بحثت هذا الأمر مع جلالة الملك فيصل ، فوجدته متحمسًا أكثر منى لهذه الدعوة وهذا الهدف » .

عندما سمعتُ لأول مرة عن الإمام الخمينى :

وفى هذا الموسم أيضًا ـ أى فى عام ١٣٩٠ هـ ـ التقيت بشاب شيعى كان يقيم معنا فى الفندق نفسه ، فقد كنا جميعًا ضيوفًا على الملك فيصل . . لقد أَخْبَرَنى هذا الشاب أنه السكرتير الشخصى للإمام الخومينى ! ومن يكون هذا الخومينى ؟ فقد كنت أسمع ـ ولأول مرة ـ بهذا الاسم ! .

ثم قال هذا الشاب : إنه حضر خصيصًا لمقابلة المرحوم الملك فيصل ، كى يتدخل عند « شاه إيران » لإطلاق سَرَاح الإمام الخومينى من المعتقل . . فقد كان « الخومينى » فى هذا الوقت نزيل سجون «السفاك» الرهيب ، كما كان « الشاه » يعتبره خطرًا على عرشه العتيد ! .

تجربة أخرى فى إمارة « دُبَىّ » :

وأذكر واقعة ثالثة :

عندما كنت فى « دُبَىّ » كنت أخطب الجمعة فى مسجد كبير فى حى « ديره » اسمه مسجد « زرعونى » . . وكان الإخوة « الشيعة » يُصَلُّون خلفى . . ! بل حدث ذات مرة أن زار « دبى » العالم الشيعى الكبير « الشيخ محمد جواد مغنية » ، وقد التقينا معًا فى محاضرة مشتركة بالمكتبة العامة فى هذه الإمارة ، وبعد يومين من هذه المحاضرة جاء من يخبرنى أن « أهل الشيعة » سعدوا بما قلته أكثر مما سعدوا بحديث « الشيخ مغنية » ! وأنهم تمنوا أن لو كان شيخهم على مستوى شيخ السنة ! .

محمد على جناح والثورة من أجل مصر :

وفى عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٦م كانت هناك مفاوضات جارية بين مصر وبريطانيا فيها كان يُعرف فى ذلك الوقت بمفاوضات « صدقى ـ بيفن » .

وفى هذا العام خرجت المظاهرات فى الهند ـ قبل عام من التقسيم ـ تندد ببريطانيا واحتلالها لمصر ! مئات الألوف خرجوا فى شوارع «بومباى» BOBAY و « دلهى » NEWDELHY و . . «لاهور» LA-HORE « وكراتشى » KRACHY يهتفون باسم مصر ! .

من الذى كان يقود هذه المظاهرات ؟ :

إنه « محمد على جناح » مؤسس دولة باكستان ، ولم يكن رئيس باكستان فى ذلك الوقت .

وحين سأله محرر صحيفة « ستيت مان » «STATMAN » الهندية عن سبب خروجه بهذه المظاهرة ، وعن دعوته جميع المسلمين فى شبه القارة لهذه المظاهرة . . قال :

إن مصر فيها الأزهر ، ولن نسكت على ظلم يقع على بلد الأزهر! !

هل يعرف أحدكم عن « محمد على جناح » شيئًا ؟ .

لقد كان محمد على جناح شيعيًّا ولم يكن سُنِّيًّا ! .

* * *

رحلة بالقطار من « كراتشى » إلى « لاهور » :

وفى باكستان أيضاً..

أخذت مكانى فى عربة القطار « المكيفة » من كراتشى إلى لاهور... المسافة بين « كراتشى » و « لا هور » يقطعها القطار فى حوالى خمس عشرة ساعة . . كنت حريصًا على أن أرى باكستان من الجنوب إلى الشمال من خلال نافذة القطار . . غير أن « الليل » حال بينى وبين هذه الرؤية على مدى عشر ساعات ، فانكفأت على نفسى شبه نائم .

قصة الجنرال « أشرف » :

وفى محطة « حيدر أباد » السند ، شاركنى الحجرة ضابط برتبة «جنرال » . . لم ينطق بكلمة . . ربما ظننى هنديًا . . وفى أحسن الأحوال فأنا لست باكستانيًا . . أغمضت عينى فى محاولة للنوم ، ولكن هيهات أن يغمض لى جفن فى هذه الحجرة التى تحولت إلى سجن ، أو إلى معسكر يتسم بالـضَّبْط والربط ! .

نظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى الرابعة والنصف صباحًا وبدون قصد وبحركة عفوية لا تنم عن شىء ـ سألت « الجنرال » عن الوقت، وهل حان وقت صلاة الفجر أم أن الوقت لم يحن بعد ؟ .

فجأة انقلب الرجل رأسًا على عقب . . ! لقد نطق « التمثال » الجامد ! .

ووقف « الجنرال » منتصباً ليعتذر عن موقفه السابق :

ـ « إذَنْ فأنت مسلم » ! قالها الرجل وهو يتأسف . لأن واجبه كقائد عسكرى يفرض عليه التحفظ فى الكلام مع من لا يعرف ! .

أما بعد أن عرف أننى مسلم فقد تصرف معى كما يتصرف الأخ ، وحين علم أننى من مِصْـر أَصَـرَّ على تناول وجبة الإفطار معه بعد الفراغ من صلاة الفجر ! .

قلت للجنرال « أَشْـرَف : هل أنت شيعى أَمْ سنى ؟ .

قال : أنا مسلم فقط . . ولا أعرف هذه التفرقة بين المؤمنين بالله الواحد الأحد ! .

وقد عرفتُ فيما بعد أن الجنرال « أَشْـرَف « هذا من مواليد مدينة «كراتشى » ، عاصمة إقليم السند ، وأنه من أسرة شيعية معروفة ، ومعظم أبنائها ضباط يخدمون فى الجيش .

تجربة إحدى وكالات الأنباء :

سيقول الخبثاء وسيئو النية :

إنها « التقية » التى يلجأ إليها الشيعة . . وأستحلفك بالله ـ أيها القارىء ـ أين توجد هذه « التقية » الآن فى عالمنا المعاصر ؟ .

منذ ثلاثين عاماً قامت إحدى وكالات الأنباء العالمية لا أذكر إنْ كانت « يونيتد برس » أو « اسو شتد برس » ، وكان ذلك فى عهد الرئيس الأمريكى الأسبق « داويت إيزنهاور » .

قامت هذه الوكالة بتوجيه أسئلة مختلفة إلى قطاعات مختلفة من الناس للوقوف على مَدَى الصدق والصراحة فى إجاباتهم .

وقد أشارت الوكالة إلى أنها لم توجه هذه الأسئلة إلى أحد فى العالم الشيوعى، أو العالم الثالث ، لأنها ـ أى الوكالة ـ تعرف الإجابة سلفًا، حتى وإن لم يقل أحد شيئًا .

وقد ذكرت الوكالة قصة طريفة لتعليل هذا الموقف من النظامين الشمولى والشيوعى ، فقالت : إن رجلاً أمريكيًا التقى برجل روسى . فقال الأمريكى مفاخرًا بنظامه الحر الديمقراطى :

ـ إننا فى أمريكا يستطيع أى فرد الذهاب إلى البيت الأبيض ويقول رأيه فى الرئيس الأمريكى بصراحة .

فقال له الروسى : وأنا كذلك ، أستطيع السفر من موسكو إلى واشنطن . . ثم التوجه من هناك إلى البيت الأبيض لأقول رأيى فى رئيسكم بوضوح وصراحة .

وفى سؤال إلى بعض السياسيين والدبلوماسيين قالت الوكالة :

ـ « إن السياسى الناجح هو الذى يفسر أقواله بأكثر من معنى ، يختلف كل معنى منها مع المعنى « الأصلى « لأقوال هذا السياسى » .

وفى مجال المال والتجارة قالت الوكالة :

ـ « إن رجل الأعمال أو التاجر « الشاطر » هو من يستطيع إقناعك

بشراء شيء لست فى حاجة إليه أصلاً ، ولا يستفيد منه أحد شيئاً . . وإن شركات الإعلانات ليست سوى « معامل » لصناعة الكذب الذى يخدع به التاجر « عميله » المغفل الساذج ! » .

* * *

حكاية التقية و « حمار العمدة » :

إن « التقية » هى المذهب السائد فى هذا العصر . . وهل يصدق أحد أن الشعب العراقى قد اختار « صَـدَّاماً » فى الانتخابات الأخيرة ؟ أو يصدق أحد أن معظم أنظمة الحكم فى آسيا وإفريقيا قد اختيرت فى انتخابات حرة ؟ ! .

يقول ظرفاء شعب مصر :

إذا مات « حمار العمدة » خرجت القرية كلها تعزى فى الفقيد «الحصاوى » !لكن إذا مات العمدة نفسه فلا أحد يخرج من بيته حتى « الغفير » النظامى [1] ! .

حزب السلامة الوطنى فى « لندن » :

فى نهاية الستينيات من هذا القرن التقيت بمجموعة من الدارسين العرب فى مدينة لندن ، ففوجئت ذات يوم بسؤالهم لى :

---

(١) الحمار « الحصاوى » نوع من الحمير القوية . . والغفير النظامى هو الذى يُلازم العمدة فى أى مكان يذهب إليه ! .

هل تقبل الانضمام معنا إلى الحزب الذى أنشأته الجالية العربية فى مدينة لندن ؟ .

قلت لهم : أى حزب هذا الذى أنشأته الجالية ؟ .

قالوا : حزب السلامة الوطنى .

قلت : لا أنضم إلى حزب حتى أعرف مبادئه أولا .

قالوا : إن مبادئه واضحة من الاسم الذى اخترناه له ! وقد اشترك فى وضع هذه المبادىء التى وَافَقَ عليها جميع الدارسين العرب من المحيط إلى الخليج ! .

ومن أهم هذه المبادىء :

(١) إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

(٢) لا تعترض تنطرد .

(٣) كل شىء جميل .

(٤) ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

(٥) من تزوج أمى قلت له يا عمى .

(٦) أما شعار الحزب الذى تهتف به فى بدء أو انتهاء أى اجتماع فهو كلنا فى الهوا سوا ! و ... و ... قلت لهم : كَفَى أنه حزب ، وياله من حزب ! إنه حزب الأغلبية الساحقة فى كل دولة ، وفى كل شعب ! .

الشاعر محمد حمام ودولة النفاق :

هل سمع أحدكم بالشاعر المصرى الظريف محمد مصطفى حمام؟

إن لهذا الشاعر ـ الذى مات غريباً ـ قصيدة يؤكد فيها هذا المعنى، ويصور فيها الحياة كما عاشها فى عصره فعلاً وعملاً :

مادُمْتَ فى عالم النفاق

فاعْدِلْ بساق ومِلْ بساق

لا تُخاصِم ولا تُشاحِن

واستقبل الكُلَّ بالعناق

ولا تُـحَـقِّقْ ولا تُدقق

وانسب شآما إلى عِراق

وقل كلامًا بغير معنى

واحلف على الإفْكِ بالطلاق

فأى شىء كأىِّ شىء

بلا اختلافٍ ولا اتِّفاق

وأى شىء كأىِّ شىء

مادمت فى عالم النفاق !!

هل هناك « تقية » أبشع وأفظع من هذه « التقية »، لقد قال

الشاعر ـ رحمه الله ـ هذه القصيدة أيام المحنة ، حيث مات غريبًا بعيدًا عن أهله ووطنه .

وبهذه القصيدة نغلق ملف هذه « التقية » ولن نعود إليها مرة ثانية ولا ثالثة ! .

حرب الخليج الأولى
والعودة إلى الجاهلية

وفجأة . . قامت حرب الخليج الأولى ، التى بدأها العراق ضد إيران . . هذه الحرب التى أكلت الأخضر واليابس ، واستنزفت أموال العرب والمسلمين لغير سبب واضح . .

كان فى ظن العراق أن إيران أصبحت فريسة سهلة ، وأن خروج الشاه مَهَّدَ له الطريق للانقضاض على الثورة ، وأن الشعب الإيرانى سيرحب به كمنقذ وبطل ، وأن العرب سيقفون وراءه « كحارس » أمين على البوابة الشرقية لأرض العرب .

و « عادت (ريما) إلى عادتها القديمة » كما يقول المثل الشعبى هنا فى مصر ، وبدأت طبول الحرب تدق فى كل مكان ضد المجوس والـفُـرْس . . مؤتمرات وندوات تعقد ، وصحف ومجلات تُطبع ، وفتاوى وقرارات تنشر وتوزع ، فقد غاب « عقل » الأمة تماماً عن الأهداف «الخفية » لحزب البعث ، واشترك الجميع ـ بدون استثناء ـ فى مباركة هذا الزيف .

علماء دين ، ورجال فكر ، وصحفيون من كل صنف ومن كل نوع، الاستثناء الوحيد كان فى سوريا وفى ليبيا . . وقد كان موقف ليبيا

هو الأقرب إلى الصواب والحق ، لأن الخلاف بين سوريا والعراق كان قائماً قبل هذه الحرب ، ولأسباب حزبية بحتة حول أحقية أى منهما بزعامة حزب « البعث » .

مؤتمر فى « عمّان » يتحول إلى مؤامرة :

فى « عمّان » عاصمة الأردن سافرتُ إلى هناك ممثلاً للأزهر فى مؤتمر عقد خصيصًا لمناقشة شئون الدعوة ، غير أنى فوجئت بما يدبر فى هذا المؤتمر قبل أن يبدأ ... وشممتُ رائحة « البارود » قبل أن يعبأ . . وما كاد المتحدثون يتكلمون حتى تحولت قاعة المؤتمر إلى ساحة حرب ! .

وانهالت القذائف والصواعق فوق إيران من كل حدب وصوب ، والدعوة الإسلامية التى عقد هذا المؤتمر باسمها ومن أجلها هربت مذعورة تبحث عن مكان آمِنٍ بعيدًا عن ساحة القتال والموت . . !

* * *

دفاع عن التاريخ والحق :

وطلبتُ الكلمة . . وإنْ شئت فقل : الشهادة ! أمّا لماذا ؟ فانتظر حتى تسمع ما قلته ردًّا على هذه الوقيعة وهذا الدَّس ، الذى تردد صداه فى كل حجرة من حجرات فندق القدس ! .

قلت أولا :

إن اتهام الشيعة أنهم أحفاد « مزدك » و « زراد شت » ، وأنهم ما

دخلوا فى الإسلام إلاَّ بقصد التخريب والهدم ، اتهام يرفضه الإنصاف والحق ، ويهدره الواقع والتاريخ والعدل . . إن أشد الناس عداوة للإسلام لا يجرؤ على مثل هذا الهزل أو مثل هذا القول ، ولا يقبل أى عاقل ـ أو حتى مجنون ـ أن تُـهْدَرَ الحقائق الناصعة على هذا النحو أو بهذا الشكل .

الـفُـرس وخدماتهم للإسلام :

لقد تنبأ النبى ﷺبفتح « فارس » قبل أن تُفْتَح ، كما تنبأ ﷺ بفتح « مصر » قبل أن تفتح ، وكما أثنى النبى ﷺ على أهل مصر ، ووصف أجنادها بأنهم خير أجناد الأرض ، أوصى كذلك بأهل «فارس»، وقال فى ذلك كلاماً لا يقبل الطعن أو الرفض .

فقد أخرج البغوى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ تـلا هذه الآية :
﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[1]
قالوا يا رسول الله ، مَنْ هؤلاء الذين إنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ .

فضرب على فَخِذ سَـلْمَانَ الفارِسىِّ ثم قال : « هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الـفُرس[2] . !

وأخرج أيضًا عن أبى هريرة قال : ذُكِـرت الأعاجم عند رسول الله

---

(١) سورة محمد ـ من الآية ٣٨ .

(٢) مصابيح السنة ٢/ ٢٨٩ .

ﷺ فقال النبى ﷺ : « لأَنَا بهم ـ أو ببعضهم ـ أَوْثَقُ مِنِّى بكم أو ببعضكم »[1] .

وأخرج أيضًا عن أبى هريرة قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة ، فلما نزلت هذه الآية :

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾[2] قالوا: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ قال ـ وفينا سلمان الفارسى ـ فوضع النبى ﷺ يده على سَلمان ثم قال : « لو كَانَ الإيمان بالـثُّريَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هؤلاء »[3] .

وأخرج ابن الأثير عن قيس بن سعد : « لو كان العلم متعلقاً بالثريا لَنَالهُ ناسٌ مِنْ فَارِس »[4] .

وأخرج السيوطى فى « مفحمات الأقران فى تفسير مبهمات القرآن»[5] فى سورة الجمعة : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ ، أخرج البخارى عن أبى هريرة مرفوعًا أنهم قوم سلمان .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال : هم الأعاجم .

وأخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : « كُنَّا جُلوسًا عند النبى ﷺ ، فأُنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٠ .

(٢) سورة الجمعة ـ من الآية الثالثة .

(٣) مصابيح السنة ٢/ ٨٥.

(٤) أسد الغابة ٤/ ٢١٦ .

(٥) ص ٤٦ .

قال : قلت : مَنْ هُم يا رسول الله ؟ فَلَمْ يُراجِعْهُ حتى سأل ثلاثاً ـ وفينا سلمان الفارسى ـ فَوَضَعَ رسول الله ﷺ يَدَهُ على سلمان ثم قال :

« لو كَانَ الإيمانُ عند الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ ـ أو رَجُلٌ ـ مِنْ هَؤُلَاءِ »[1].

شهادة « طه حسين » و « آدم متز » :

ويقول الدكتور طٰه حسين فى كتاب « على وبنوه » : إنَّ خُصوم الشيعة نسبوا إليهم ما يعلمون وما لا يعلمون .

لايكتفى خصوم الشيعة من الشيعة بما يسمعون عنهم ، أو بما يرون من سيرتهم ، وإنما يضيفون إليهم أكثر مما قالوا ، وأكثر مما سمعوا ، ثم لا يكتفون بذلك ، وإنما يحملون هذا كله على « علىٍّ » نفسه ، وعلى معاصريه .

وخصومهم واقفون لهم بالمرصاد، يحصون عليهم كل ما يقولون ويفعلون ، ويضيفون إليهم أكثر مما قالوا ومما فعلوا ، ويحملون عليهم الأعاجيب من الأقوال والأفعال . . ثم يتقدم الزمان ، وتكثر المقالات ، ويذهب أصحاب المقالات فى الجدال كل مذهب ، فيزداد الأمر تعقيدًا وإشكالاً ، ثم تختلط الأمور بعد أن يبعد عهد الناس بالأحاديث ، ويتجاوز الجدال خاصة الناس إلى عامتهم ، ويتجاوز الذين يُحسنونه

(١) صحيح البخارى : كتاب تفسير القرآن ، ص ١٢٥ .

إلى الذين لا يحسنونه ، ويخوض فيه الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فيبلغ الأمر أقصى ما يمكن أن يبلغ من الإبهام والإظلام ، وتصبح الأمة فى فتنة عمياء ، لا يهتدى فيها إلى الحق إلاّ الأقلون .

أين ومتى بدأ التشيع ؟ :

وكما يقول « آدم متز » فى كتاب « الحضارة الإسلامية »[1] : إن مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض« رَدَّ فِعْلٍ » من جانب الروح الإيرانية ، فقد كانت جزيرة العرب كلها « شيعة » ما عدا المدن الكبرى .

أما إيران فقد كانت كلها سُنَّة ، ماعدا « قم » !بل كان أهل أصفهان يبالغون فى حب « معاوية » حتى اعتقد بعض أهلها بأنه نبى!! .

أئمة الإسلام العظام كانوا من الفرس :

بل إن معظم أئمة السنة جاءوا من بلاد الفرس ، كالإمام البخارى ، والتِّرمذى ، وابن ماجَه ، والنسائى ، والنسفى ، والرازى ، والبيضاوى ، والزَّمَخْشَرِيّ ، والتفتازانى ، وسيبويه ، والإمام الغزالى، والنيسابورى. والبيهقى ، والجرجانى ، والراغب الأصفهانى، والبيرونى ... إلخ .

---

(١) ترجمة الدكتور محمد أبو ريدة ، ص ١١٢ ، دار الفكر العربى ـ القاهرة .

منظمة المؤتمر الإسلامى ومقارنة بين موقف « إيران » وموقف « العراق » :

لقد خيم الذهول والمفاجأة على المؤتمر ، ونظر بعضهم إلى بعض فى خشية ووجل .

تُـرَى من أين جاء هذا المتكلم؟ إننا نسمع لغة جديدة لأول مرة! غير أنى تساءلت أيضاً وقلت :

إن « إيران » عضو فى منظمة المؤتمر الإسلامى ، والشرط الأول لانضام أية دولة إلى هذا المؤتمر أن تكون دولة مسلمة ، وبناء على هذا « الشرط » كانت « إيران » من بين الدول الإسلامية الأولى التى انضمت إلى هذا المؤتمر . . بل كانت « إيران » فى مقدمة الدول التى وَقَّـعَتْ على ميثاق هذا المؤتمر فى مدينة جدة ، فى حين تأخرت «العراق» كثيرًا جدًّا فى التوقيع على هذا الميثاق إكرامًا لروسيا ! .

والسؤال هو :

إذا كان الشرط الأساسى للعضوية فى منظمة المؤتمر الإسلامى أن تكون الدولة (العضو) دولة مسلمة ، فبأى عقلٍ ، وبأى منطق نُخرج شعبًا من الإسلام بأكمله ؟ ! .

هذا كلام لَهُ خَبِىءٌ معناه : ليست لنا عقول ! .

* * *

العجيب أن « بعض » المحاضرين هنأنى على هذه الكلمة ، ولكن

فى السر ، فقد كان مثل هذا الكلام وفى مثل هذا الوقت ـ كافياً ـ لمحوك من فوق الأرض وفى أحسن الفروض : إرسالك عاجلاً (مع التوصية) إلى القبر ! .

* * *

وأقسم بالله الذى يعلم السر وما هو أخفى من السر ، أننى لم أكن منحازاً إلى أحد ، لا إلى هذا البلد أو إلى هذا البلد ، لا إلى ايران ولا إلى العراق ، بل كنت ـ كما لا أزال ـ منحازاً إلى الحقيقة والعدل ، حريصاً على وحدة العرب والمسلمين أولاً وقبل كل شىء . . رافضاً كل ما يهدد هذه الوحدة من مخططات تُدَبَّر وتُـحَـاك لحساب الغير . . سواء أكان هذا الغير « أمريكيًّا » فى واشنطن ، أو « روسيًّا » فى موسكو ، أو بريطانيًّا فى لندن .

مأساة الرهائن فى السفارة الأمريكية فى طهران :

غير أن « إيران » لم تكن معصومة من الخطأ ، فما حدث فى السفارة الأمريكية لم يكن له مبرر ، واحتجاز الرهائن أساء إلى المسلمين والإسلام فى جميع أنحاء العالم .

حوار مع رجل أعمال أسترالى :

ومازلت أذكر ـ بالرغم من مرور ثمانية عشر عاماً على وقوع هذا الحادث المؤسف ـ أذكر ما دار بينى وبين رجل أعمال أسترالى على مدى سبع ساعات فى الطائرة المتجهة إلى « كوالا لمبور » من مدينة «سيدنى »

. . وقد كنتُ مدعوًّا لحضور مؤتمر الدعوة الإسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا وجنوب الباسفيكى . . وأخذت مكانى فى الدرجة الأولى ، ولم يكن يشاركنى فى هذه الدرجة سوى رجل واحد اسمه «مستر والى» (MR . WALI) ، وكلانا جلس بعيدًا عن الآخر ، وبينما كنت منهمكاً فى قراءة كتاب أحمله معى ، كان «مستر والى» يعبُّ ويشرب من زجاجة « ويسكى » ! .

وبعد ثلاث ساعات من مغادرة الطائرة لمدينة « سيدنى » اتجهتُ إلى القِبْلَة مجتهدًا ، ! وبدأت فى الصلاة جالسًا ! .

انتظر « مستر والى » حتى فرغت، ولأول مرة تكلَّمَ ووجَّهَ سؤاله إلىَّ :

ـ هل أنت بوذى ؟ .

قلت له : لا .

ـ هندوسى ؟ .

قلت : لا ، إنما أنا مسلم .

ما كدت أقول إننى مسلم حتى فزع كمن لَدَغَتْهُ عقرب ، ثم قام يصرخ ويلعن كل المسلمين وكل العرب ! .

حاولتُ تهدئته ، ولكن بلا جدوى . . لقد كان كالثور الهائج فى حلبة صراع . . ثم أخذ يتكلم عن « الرهائن » وما تعرضوا له فى «إيران » ، وأن هذا العمل سُبَّة فى جبين « إيران » وفى جبين الإسلام .

الكل جواسيس حسب القانون الدولى :

لم يدع لى « المستر والى » فرصة كى أتكلم . . وماذا أقول عن موقف لم يكن له داع ولم يكن له مبرر ؟ والزعم بأن هؤلاء الرهائن جواسيس وعملاء تحصيل حاصل ، فالسفارات أُنشئت أصلاً لهذا الغرض . . ولرصْد كل ما يحدث ويقع فى هذا البلد أو ذاك البلد . . وبناء على هذه المتابعة وهذا الرصد تُـرْسَم السياسات وتوضع الخطط .

فالسفارات ليست دورًا للضيافة ، وليست أندية للترفيه والتسلية ، بل هى « مراكز » لتجميع المعلومات ، و « عين » ترى وترصد كل ما يجرى هنا وهناك ، تستوى فى هذا سفارة دولة عظمى كأمريكا ، أو سفارة دولة صغرى فى آسيا وإفريقيا .

النبى وحصانة سفراء الدول :

ثم إن الإسلام حدد أصول وقواعد التعامل مع السفراء ، فقد وفر لهم الأمن ، وحرم الإساءة إليهم بأى شكل .

وقد حددت السُّنة أصول وقواعد التعامل مع السفراء ، وأكدت النصوص الفقهية هذا ، عملاً بما كان يفعله النبى عليه الصلاة والسلام ، فقد أرسل مسيلمة الكذاب وفدًا إلى النبى ﷺ ، وكان هذا الوفد مكونًا من رجلين ، فقال النبى : موجهًا كلامه إلى الوفد :

أتشهد أنى رسول الله ؟ .

فقال الوفد : نشهد أن مسيلمة رسول الله ! فقال النبى : آمنتُ بالله ورسوله ، لولا أن الـرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمَا [١] ! .

وروى البخارى : أنَّ عامِـرَ بن الطفيل أتى إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : خُيرت بين ثلاث خصال :

يكون لكَ أهل الـسَّهْل ولى أَهْلُ الـمَدَر [٢] . أو أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء .

وكان ردُّ الرسول ﷺ على هذا القول الغليظ :

« اللَّـهُـمَّ اكْفِنى عامِـرَ بن الطفيل » .

وكان عامرٌ هذا رسولَ قومه لدَى النبى عليه الصلاة والسلام ، ويعلم جيدًا ما للرسل من حُـرْمَة ، وأن النبى العظيم لا يمكن أن يمد يده إليه ولا يؤذيه ، فقال ماقال .

وقد حدث أن المسلمين أسروا مركباً فى البحر ، فقال نفر من ركابها نحن رُسُل بَعَثَنَا الملكُ ، فلم يتعرض لهم أحد .

فالحصانة الشخصية للرُّسُل أمر ثابت ومقرر متى ثبتت صفتهم ، وهى لازمة لعمل المبعوث ، إذ كيف يطلب إلى الرسول أداء رسالته إلاَّ إذا كان مطمئنًا سالـمًـا ، مستقرًّا فى عمله ، لا يتعرض لأى أَذًى ؟ .

---

(١) السفارات فى الإسلام ـ السفير محمد التابعى ، ص ١٥٠ ـ القاهرة .

(٢) أهل الـمَدَر : سُكَّان البيوت المبنية ، وهم خلاف الـبَدْوِ سكان الخيام .

والحصانة كما نعلم تستمر طوال مدة وجود المبعوث وتبقى إلى حين عودته إلى بلاده ، وقصة الرسول عليه الصلاة السلام مع أبى رافع القبطى قصة معروفة تستحق التسجيل . قال أبو رافع :

بعثتنى قريش إلى النبى ﷺ ، فلما رأيتُه وقَعَ فى قلبى الإسلام ، فقلت :

« يارسول الله ، لا أرجع إليهم » قال :

« إنى لا أحبس (أنقض) العهد ، ولا أحبس البرود (البريد) ، ولكن ارجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع » .

فالوفاء بالعهد واجب للكفار والمسلمين على حد سواء ، والرد على الرسالة التى حملها الرسول واجب أيضًا ، وهذا يقتضى عودة هذا المبعوث إلى دياره دون حجزه .

هذا وقد أفاض أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين المحدثين فى الكلام عن الحصانات الشخصية للسفراء ، وتناولوا بالشرح والتفصيل موقف الإمام إذا ما تطاول أحد الرسل عليه وخرج عن الأصول المرعية ، واتفق الرأى لدى الحنفية والشافعية والزيدية والحنابلة على أن الرسل لا تُقْتَل ، لأن أمان الرسل والسفراء ثابت بدون عقد الأمان .

فلا يجوز إذن قتل السفير خلال إقامته فى دار الإسلام ، لأنه يعتبر فى عهد ، والرسل معصومة دماؤهم ، ويتمتعون بحريتهم الشخصية

طوال مدة بقائهم ، يعنى أثناء خدمتهم ، وتبقى لهم هذه الحرية حتى لو اختلفت آراؤهم ووجهات نظرهم مع المسئولين ، وحتى لو تكلم المبعوث بما يخرج عن الأصول مع ولى الأمر . وقد سبق لنا الإشارة إلى حادث رسولى مسيلمة الكذاب وعامر بن الطفيل ، وكيف أن الرسول عليه الصلاة والسلام أبقى على حصانتهم حتى يعودوا إلى بلادهم .

* * *

وصلنا إلى « كوالالمبور » . . وهناك كانت إقامتى فى فندق «هيلتون»، وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى توجهت إلى مطعم « الفندق » لتناول طعام الإفطار ، وهنا كانت المفاجأة التى لاتخطر على بال . . المستر « والى » يجلس وحيدًا على مائدة ، وما كاد يرانى حتى هَبَّ واقفاً ودعانى للجلوس معه ! .

كان شخصًا مختلفًا تماماً عماَّ كان عليه بالأمس ، فقد ذهب أثر الخمر ، واستيقظ فيه الضمير والعقل ، فقال معتذرًا : إننى شديد الأسف ، وأرجو أن تقبل عذرى عمَّـا حدث .

قلت له مبتسماً : لاداعى لهذا الاعتذار والأسف . . فقد كانت «الخمر » هى المتهم الحقيقى فيما وقع بالأمس ! .

ثم قلت :

أنت الآن فى بلد مسلم ، فهل تشعر بالخوف الذى تشعر به فى

مدينة « سيدنى » ؟ فأجاب : كلا . . بل أشعر فى هذا البلد بأمان لايتوفر حتى فى بيتى . . ! .

قلت للمستر « والى » : هل تقبل منى كتاباً هدية ؟ .

قال : أقبله ، حتى قبل أن أعرفه .

قلت : إنه كتاب « الحضارة الإسلامية » «لآدم ميتز »

The ISLAMIC Civilization

قال : وهذا ما أبحث عنه ! .

وبعد يومين من هذا اللقاء أخبرنى مستر «والى » أنه قرأ الكتاب ، وأنه من الآن غَـيَّـرَ رأيه عن المسلمين والإسلام ! .

* * *

حوار فى « لندن » حول الاستمرار فى الحرب ضد العراق :

هذه واحدة ...

أَمَّا الثانية ، فقد حدث ذات يوم أن استدعانى شيخ الأزهر إلى مكتبه ، وحين ذهبت إليه قَـدَّمَ إلىّ دعوة موجهة إليه لزيارة « لندن » من جهة غير معروفة فى دوائر الأزهر .

قلت له : لقد وصلتنى الدعوة نفسها فى الوقت الذى وصلت فيه إلى فضيلته هذه الدعوة .

فسألنى إنْ كنت أعرف شيئًا عن الهيئة التى وجهت إلى كل منا هذه الدعوة ؟ .

فأخبرته بما أعرف . . وإنْ كانت معرفتى بالشخص المسئول عن هذه الدعوة لا تتجاوز حدود لقاء خاطف فى المركز الإسلامى فى مدينة « لندن » .

قال شيخ الأزهر : لتذهَبْ وحدك مُـمَـثِّلاً للأزهر فى هذا المؤتمر ، فيهمنا أن تعرف ما يحدث ويدور فى مثل هذه المؤتمرات التى تعقد فى عواصم الغرب .

***

سافرتُ إلى لندن . . وقد اكتشفتُ أن المؤتمر « إيرانى » التوجيه والنزعة . . لا بأس . . ! فكلنا إخوة . . ولا ضير من حضور الأزهر مثل هذا المؤتمر . . فالوحدة الإسلامية هدف مقدس ، واجتماع المسلمين على كلمة واحدة فرض وواجب ، ومادام الهدف هو « وحدة المسلمين فكلنا يُرحب بهذه الدعوة ، ويحرص على هذه الوحدة .

غير أنى لم أصادف أخًا « إيرانيًا » واحدًا أتكلم معه ، كان الدكتور «كليم صديقى » ، وهو من أصل باكستانى ـ كان هو النجم البارز ، كما كان معظم المدعوين من العرب لا من أبناء فارس .

مع أحد القادة الإيرانيين :

وعقب الجلسة الأخيرة للمؤتمر دُعينا لتناول الشاى فى قاعة خاصة ،

وفى هذه القاعة وقعت عيناى ولأول مرة على شيخ كبير مُعَمَّم يتصدر الجلسة ، هذا هو الشيخ « تسخيرى » ، الذى قدم من إيران خصيصًا لمتابعة ما تم الاتفاق عليه فى هذا المؤتمر ، والاطلاع على وقائع الحوار والنقاش فى هذا المؤتمر .

قلتُ مخاطباً الشيخ المحترم :

إننى مسلم أعلم يقيناً أن « صَدَّامًا » هو الذى بدأ الحرب ، وأنه استخدم كمخلب قط لصالح الغرب .

كما أعلم يقيناً أن لا أحد سيخرج منتصرًا فى هذا القتال ، وأن الهدف « الأكبر » للصليبية والصهيونية هو القضاء على قوة العراق ، وعلى قوة إيران ، فلماذا لا تقبلون وساطة منظمة المؤتمر الإسلامى لإيقاف هذه الحرب ؟ وكيف غابت عنكم أبعاد هذه المؤامرة التى تستهدف إيران كما تستهدف العراق فى نفس الوقت ؟ .

إنكم تمثلون الأخ الأكبر فى هذه المعادلة ، ومن شيمة الأخ الأكبر التسامح والعفو ، وبهذا تكسبون ثقة المسلمين فى العالم بالجنوح إلى السلم وقبول الصلح ...

ثم قلت :

أعلم أن اتخاذ مثل هذا القرار صعب ، وأن اتخاذ مثل هذا الموقف - كما قال الإمام الخومينى - أشبه بشرب السم ! .

غير أن الحكمة لا تقدر على « المنطق » فى زمن الحرب ،

وهديـر المدافع والدبابات لا يترك مجالا ، لا للمنطق ولا للعقل ! .

فقد انتهت المأساة ـ كما قلنا ـ بخسارة الجميع فى هذا القتال وهذه الحرب ، واضطر القاتل والقتيل إلى الشرب معاً من كأس السم ! .

باكستان فى خطر .. ودول إسلامية أخرى :

إن الذى يحدث فى باكستان مخيف وبشع ، وينذر بالخطر، وبعاصفة لا تُبقى ولا تَذَر . . ما هذا الهراء الذى نسمعه عن صراع بين جيش «للصحابة » وجيش لمحمد ؟ !! .

« محمد » مَنْ هذا الذى يقاتل هؤلاء الجهلاء باسمه ؟!و«صحابة» مَنْ هؤلاء الذين يُشعلون النار فى البيت والشارع والمسجد ؟ !

إن باكستان تتعرض لخطر أكيد ، وبوادر الانفصال والتمزق تظهر من جديد .

أؤكد ذلك لمعرفة سابقة بالواقع الباكستانى ، فهناك فى « كراتشى » حركات تطالب بانفصال « السند » و إقامة « سيندوديش » . . كما سبق أن انفصلت باكستان الشرقية عن الغربية لتقيم دولة « بنجالاديش » . . وهناك حركات أخرى تستهدف عودة باكستان مرة أخرى إلى الهند !!

إن باكستان تعيش فى « كانتونات» مذهبية وفكرية مدمرة ، فهذا «شيعى » ، وهذا « سُنِّى » ، وهذا « بريلوى » ، وهذا « ديو بندى » ، وهذا « حنفى » ، وهذا « سلفى » ، وهذا من « أهل الحديث » ، وهذا « صوفى » ! .

العالم الإسلامى إلى أين؟:

إن الإسلام الذى قامت به وباسمه باكستان غائب تماماً ، فقد تحول الناس هناك إلى قبائل .. تماماً كما يحدث فى « أفغانستان » بين «الطاجيك » و « البشتو » و « الأزبك » . . ! أو كما يحدث بين «الهوتو» و « التوتسى » فى « رواندا » و « بوراندى » ! أو يحدث بين عصابات «المافيا فى إيطاليا وأمريكا » . . ! .

لا صلة ولا علاقة بين ما يحدث فى باكستان وأفغانستان لا بالإسلام ولا بالنبى محمد ﷺ، ولا صلة ولا علاقة بين ما يحدث فى أفغانستان وباكستان وبين أبى بكر وعمر وعلى !! .

* * *

وأنا - أيها القارىء - لست سياسيًّا . . فقد طلقت السياسة ثلاثاً ، أى : طلاقاً بائناً ، ومن غير رجعة ! .

بل أنا مسلـم يخاف على أُمة الإسلام أن تتصدع أركانها وتنهار ، وأن يقع هذا الانهيار وهذا التصدع من فئات تنسب نفسها إلى الإسلام وهو منها بَراء ، وتزعم الغيرة والإصلاح، وهى أكذب من مسيلمة الكذاب!! .



الفصل الثانى

حقائق وأوهام!

« آفة المسلمين فى
التخلف والجهل . .
والتخلف والجهل
أشد فتنة من القتل ! » .

(جمال الدين الأفغانى)



مالايجوز فيه الخلاف بين المسلمين :

أولا ـ وقبل أى شىء ـ أقسم بالله ثلاثاً أننى سُـنِّىٌّ وابنُ سُنِّىّ . .

و « أزهـــرى » .

لا « عَـــاملى » ولا « قُـــمِّـــى » [1] ! .

وأقسم ثانية أن المساس بأَمْن أى بلد مسلم جريمة فى حق دينى وفى حق وطنى . . سواء أكانت هذه الجريمة من شيعى ، أم جاءت من سُـــنِّىٍّ ! .

هذه كلمة لابد منها ، ومدْخَل إلى القضية التى سوف أتحدث عنها .

اتهامات بالجملة بين « السلف » و « الخلف » :

فالعالم الإسلامى يموج بالفتن ، وقد أفرزت حربُ الخليج نوعاً من الجاهلية أشد من الجاهلية الأولى قبل مبعث النبى محمد ﷺ ، فقد رأينا العلماء والمفكرين يهرعون إلى بغداد معلنين تأييدهم المطلق لحرب العراق

---

(١) « جبل عامل » : أحد مراكز الشيعة فى لبنان . أما « قُمْ » فهى المركز الدينى فى إيران .

ضد إيران . . ثم أوغلوا فى جاهليتهم هذه ، فاتهموا الإيرانيين بالمجوسية التى عفا عليها الزمان ، ونسى هؤلاء أو تناسوا أن أئمة الإسلام العظام كانوا من أصل فارسى، بل إن أئمة اللغة والأدب جاءوا من بلاد فارس وما وراء النهرين ، ونسى هؤلاء أو تناسوا الفتوى التى أصدرها شيخ الأزهر بأن الشيعة فرع من فروع الإسلام ، وأن التعبد على مذهبهم جائز كغيره من مذاهب أهل السنة ، وأن مذهبهم هذا يُدَرَّسُ الآن إلى جوار مذاهب أهل السُّنَّة فى جامعة الأزهر ، وأن قانون «الأحوال الشخصية» الذى صدر فى مصر قبل سنوات أَخَذَ من مذهبهم كما أخذ من مذاهب أئمة السنة .

ومما زاد الطين بلة وأشعل نيران القطيعة والفتنة ، اتهام من يزعمون أنهم « سلفيون » غَيْـرَهُمْ من المسلمين بأفعال أهل الشرك والكفر ، أو اتهامهم « بالأشعرية »[1] التى لا تتفق مع ما يعتقدون أنه حق .

وماذا يبقى من الإسلام إذا اتهم إمام من أئمته العظام بالمروق والزيغ ؟ .

لقد كان (أبو الحسن الأشعرى) فى دفاعه عن الإسلام مَثَلاً يُـحْـتَذَى فى الجهر بكلمة الحق ، وفى إدانة المعتزلة الذين تَأَوَّ لُوا القرآن على غير معناه الذى نزل به الوحى . . يقول هذا الإمام العظيم فى كتابه « الإبانة عن أصول الديانة »[2] : « وقولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى

(١) الأشعرية نسبة إلى الإمام الحسن الأشعرى .

(٢) نقلا عن كتاب « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » للعلامة الندوى - ص ١٥٣ وما بعدها .

ندين بها ، التمسُّكُ بكتاب ربنا عز وجل ، وبسُنة نبينا عليه السلام ، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نَضَّـرَ الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته - قائلون ، ولِـمَـا خَالفَ قوله مخالفون : لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل الذى أبانَ الله به الحق ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين .

فرحمة الله عليه من إمام مقدم ، وخليل معظم مفخم ... » .

أيقال بعد هذا إن « الأشعرى » مُعَطِّلٌ ؟ وأنه من أئمة الضلال فى نظر هذه الطائفة التى تُشكك فى إيمان كل مسلم؟ ! .

حوار متزمت مع الشيخ محمد الغزالى

يقول الشيخ محمد الغزالى [1] ، ذات يوم طَـرَقَ بابى شاب ، وكان فى عينيه بريق يدل على الذكاء ، والحماس معًا ... قال : قرأتُ بعضَ كتبك ، ورأيت أن أستكمل معرفتك من أسئلة أوجهها إليك ! .

قلت له : حَـسْـبُكَ سؤال واحد ، فلدَىَّ ما يشغلنى .

قال : ما رَأْيُكَ فى (الـفَـوْقِيَّة) بالنسبة إلى الله تعالى ؟ ومع تعوّدى لقاء شبابٍ كثيرٍ من هذا الصنف فإن السؤال فاجأنى . . وتريثتُ قليلاً ثم شرعتُ أتكلم : لا أدرى كيف أجيبك ؟ أنا مع أهل الإسلام كُلهم

(١) الشيخ محمد الغزالى - هموم داعية - ص ١٣ ومابعدها .

أُسَبِّحُ باسمِ رَبِّيَ الأعلى ! وبين الحين والحين يطوف بى من إجلال الله وإعظامه ما أظننى به واحدًا من الذين قيل فيهم : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١) . تسألنى عن هذه الفوقية ؟ لا أدرى ، أنا مع العقلاء الذين يقولون :

السماء فوقنا والأرض تحتنا ، ثم إنى بعد ما اتسعت مداركى العلمية عرفت أن الأرض التى أسكنها كرة دائرة طائرة ، وأنها ـ مع أخواتٍ لها ـ يَسْتَقْنَ فى نظامٍ مع أُمِّهِنَّ الشمس التى تجرى هى الأخرى مع لداتٍ لها فى مَجَرَّة معروفة الأبعاد والمدار .

وقد أحصى علماء الفلك مجرات كثيرة عامرة بالشموس مثل مجرتنا ، وحسبوا بعد مطالعات ومتابعات أنهم عرفوا حدود الكون . . ثم كشفت لهم المراصد ـ على مسافة ملايين من السنين الضوئية ـ أن هناك مجراتٍ أخرى أسطع ضوءًا ، وأشد تألقًا ، فعرفوا أن الكونَ أرحبُ مما يظنون .

أنا لم يهلنى أمر هذه الكشوف ، وإنما زاد إعظامى لربى ، الذى بنى فأوسع ، وذرأ فأبدع . . إنه يهب لهذه الأكوان كلها وجودها وبقاءها لحظة بعد أخرى . . !

وأذكر أنى رأيتُ مرة أسراباً من النمل تحف بقطعة من الحلوى وتسلم فتاتها لأسراب أخرى ، رأيتُ ألوفاً تأخذ من ألوف ، فاتجهت

---

(١) سورة النحل ـ الآية ٥٠ .

إلى السماء وأنا أقول : إن الدقة التى تحكم حياة النمل فى جحوره هى نفس الدقة التى تحكم الشموس فى مداراتها . . رؤية تامة هنا وهناك :

﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1] .

مادامت السماء محيطة بنا فهى فوقنا وتحتنا ، ونحن على أرضنا قد نكون فوق قوم يعيشون على الأرض فى جانب آخر منها . . وعلى أية حال فالخالق الأعلى له فوقية تقهر الخلائق جميعًا ، وتستعلى وتستعلن على الجن والإنس والملائكة وسائر الموجودات .

ذلك ما أعرف ، ولا أحُب إفسادَ الـنَّظْمِ القرآنى الكريم بمعارف ماأنزل الله بها من سلطان .

قال الشاب : ألم تقرأ « العقيدة الطحاوية » ؟ .

قلت :أوصِى المسلمين أن يقرءوا القرآن ، وألَّا يُعْمِلُوا عقولهم فى اكتناه المغيَّبَات التى يستحيل إدراك كنهها ، كذلك فعَل سَلَفُهُم الصالح فأفلح .

قال الشاب : و كتابك « عقيدة المسلم » ؟ .

قلت : قررت فيه ما سمعتَ الآن ! .

قال : إنه يتجه مع مذهب السلف ، ولكنك تبعت فى ترتيب العقائد منهج أبى الحسن الأشعرى ، وهو مُـؤَوِّلٌ منحرف !! .

(١) سورة الكهف ـ من الآية ٢٦ .

قلت : رَحِمَ الله أبا الحسن وابن تيمية : كلاهما خدم الإسلام جهده، وغفر الله لهما ما يمكن أن يكون قد وقع فى كلامهم من خطأ .

اسمع يا بنى ، لماذا تُحْيُونَ الخصومات العلمية القديمة ؟ كانت هذه الخصومات - ودولة الإسلام ممدودة السلطة - خفيفة الضرر ، إنكم اليوم تجددونها ودولة الإسلام ضعيفة ، بل لا دولة له ، فَلِمَ تُعيدونها جَذَعَةً[1]، تسكبون عليها من النفط ما يزيدها ضراماً ؟ .

وَجِّهُوا الأُمَّة إلى كتاب ربها وسُنَّة نبيها ، وأشغلوهم بما اشتغل به سلفنا الأول ، اشتغل بالجهاد فى سبيل الله فاعْتَزَّ وسَادَ ، مع ملاحظة أنهم كانوا يحررون غيرهم ، أما نحن فمكلفون بتحرير أنفسنا .

قال الشاب وهو يتململ : حسبناك من السلف ! ! .

قلت : إنما الانتماء إلى السلف شرف أتقاصر دونه ، وفى الوقت نفسه أحرص عليه ، لقد جئتَ تسألنى عن قضية لو سُئِلَ عنها الأصحاب رضى الله عنهم لسكتوا . . وأغلب الظن أنكَ تودُّ لو تعثرتُ فى الإجابة حتى تتخذنى غرضاً أنت ومن وراءك ، فَلْتَعْلَمْ أن طُهْرَ النفسِ أرجحُ عند الله من إدراك الصواب . .

ليس سلفيًّا من يجهل دعائم الإصلاح الخُلقى والاجتماعى والسياسى كما جاء بها الإسلام وأعلى رايتها السلف ، ثم يجرى هنا وهناك مذكياً الخلافَ فى قضايا تجاوزها العصر الحاضر ، ورأى الخوض فيها مضيعة

(١) الجَذَع : الحديث والجديد من الأمر . والشاب الفتى .

للوقت . . أما كان حسبنا منهج القرآن العزيز فى تعليم العقائد؟ .

فى تعريف الناس بربهم نسمع قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1]، والاستجابة الفطرية لدى سماع هذه الآية أن نقول : عَـرَفْنَا ربنا وما ينبغى له من نُعوت[2]الكمال !! .

ويقول تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[3] . . والاستجابة الطبيعية لَدَى تَلَقِّى هذا الأمر أن نقول : سمعاً وطاعةً ، عَلِمْنَا أن اللهَ واحدٌ ، ونستغفره من تقصيرنا فى الوفاء بحقوقه .

ثم تتجه بعد ذلك جهود المربين والموجهين إلى تنمية الإيمان الثابت فى مغَارِسه الصحيحة ، حتى يتحول من معرفة نظرية إلى خَشْيَة وتقـوى، وحيـاء وخشـوع . ولا نـزال ننميه كما فعـل سلفنا الصالح حتـى يفعـم المؤمـن بمشاعر التمجيد ، فيقول كما عَلَّمَهُ الرسول الكريم «ﷺ» : « يارَبِّى لَكَ الحمدُ كما ينبغى لجَلالِ وجهك وعظيم سلطانك» فإذا وَاجَهَ الموتَ فى سلام أو حربٍ لم يَـجْـزَعْ ، بل قا ل: « غدًا أَلْقَى الأَحِبَّهْ ، محمدًا وحِـزْبَهْ » كما هتف بذلك « بلال » رضى الله عنه . .

---

(١) سورة طه ـ الآية الثامنة .

(٢) نعوت : صفات .

(٣) سورة محمد ـ من الآية ١٩ .

أَمَّا جَعْلُ الإيمانِ قضايا جدلية فهذا هو الموت الأدبى والمادى ، ولو أنَّ سَلَفَنَا مَضَى مع تيار الجدل ما فتح بالإسلام بلدًا ، ولاشرح بالإيمان صدرًا .

إن منهج القرآن الكريم فى إنشاء العقائد وإنضاجها خفيفٌ رقيق ، أَخَفُّ من الهواء وأرقُّ من الماء ، أما بعض الكتب التى تعرض العقائد فى كثير من الأعْصَار والأقطار فعلى نقيض ذلك ، وقد أَلَّفْتُ كتابى «عقيدة المسلم » وأنا متشبع بهذه الأفكار ، وأحسب أن الله نَفَعَ به كثيرين .

ابن حنبل المظلوم حيًّا وميتًا :

على أن هناك أُمورًا يُقْحَمُ فيها السلف إقحاماً ، ولا علاقة لهم بها ، فَمَا دخل السلف فى فقه الفروع واختلاف الأئمة فيه ؟ .

ومن الذى يزعم أن ابن حنبل هو ممثل السلفية فى ذلك الميدان ، وأن أبا حنيفة ومالكاً والشافعى جاروا على الطريق وأمسوا من الخَلَفِ لا من السلف ؟ .

إن هذا تفكير صبيانى . . وبعض مَنْ سُمُّوا بالحنابلة الذين حَكَى تاريخ بغداد أنهم كانوا يُطاردون الشافعية لحِرْصِهم على القنوت فى صلاة الفجر هم فريقٌ من الـهَمَل لا وزن لهم »[1] .

وأنا موقن بأن الإمام « أحمد» نفسه لو رآهم لأنكر عليهم وذم

(١) هموم داعية ، للشيخ محمد الغزالى ، مصدر سابق .

عملهم! الـتَّبِعَةُ ليست على رعاع يمزقون شَمْلَ الأمة بتعصبهم ، وإنما تقع التبعة على علماء يعرفون أن رسول الله ﷺ حكم بأن للمجتهد أجرين إذَا أصاب ، وأجرًا واحدًا إذا أخطأ .

ولو فَـرَضْنَا جدلاً أن الحق مع الحنابلة والأحناف فى أنه لا قُنُوتَ فى الفجر ، فمن الذى يُـحْـرِمُ مالكاً والشافعىَّ أجر المجتهد المخطىء ؟!

وإذا كان مَنْ يخالفنا فى الرأى مأجورًا فَلِمَ نسبُّهُ ونحرجه ونضيق عليه الخناق ؟ ! .

المشكلة التى نطلبُ من أولى الألباب حلها، هى معالجة نفر من الناس يرون الحق حكرًا عليهم وحدهم ، وينظرون إلى الآخرين نظرة انتقاص واستباحة ! الواقع أن الأمراض النفسية عند هؤلاء المتعصبين للفرعيات تسيطر على مسالكهم، وهم ـ باسم الدين ـ ينفسون عن دنايا خفية ! وعندما يشتغل بالفتوى جزاء فلن تراه أبدًا إلاَّ باحثاً عن ضحية[1] ! .

كتاب « الخطوط العريضة .. للتكفير :

منذ أربعين عاماً ـ أو أكثر من ذلك قليلاً ـ وقع فى يدى كتاب «الخطوط العريضة » الذى كتبه « محب الدين الخطيب » . . لقد هالنى ما بين صفحاته من أقوال الكفر فما يقوله عن « الشيعة » خطير . . ! فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكونوا « أصحاب دين » غير «دين

(١) المصدر السابق .

المسلمين » . . ! أو أن يكون موقفهم من « أهل السنة » هذا الموقف العدائى الكبير !! .

لم يطاوعنى قلبى فى تصديق ما كتب . . وظللت مترددًا بين التصديق والكذب ، حتى استقرت سفينتى فى النهاية على شاطىء الحق .

أئمة الشيعة أعضاء فى مجمع البحوث الإسلامية :

ففى عام ١٣٨٢ هـ انتدبت للعمل - سكرتيرًا فنيًّا - فى مكتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الأسبق ، وكان من مهام وظائفى فى مكتب الإمام الراحل أن أَرُدَّ على رسائله ، وأن أعرض عليه رسائل المسلمين التى تصل إليه كل يوم من كل ناحية .

لقد فوجئت برسائل الحُب والـمَوَدَّة التى كانت تصل إليه من أئمة الشيعة ، كما فُوجئت بردوده على رسائل هؤلاء الأئمة ، واعتزازه بهم كإخوة فى الإيمان والعقيدة . . ثُمَّ فوجئت بعد ذلك باختياره لبعض هؤلاء الأئمة أعضاءً فى مجمع البحوث الإسلامية !

* * *

سألته يوماً :

- هل قَرَأْتَ يا مولانا ما كتبه « محب الدين الخطيب » عن الشيعة؟ .

ابتسم الشيخ ولم يتكلم ! .

وحين أعدت عليه السؤال أخرج من درج مكتبه ورقة ثم قال لى :
ستجد فى هذه الورقة إجابتى عَمّا تسأل ! .

الفتوى التى هزت عالم الجَهَلَة والمتعصبين :

كانت هذه الورقة « صورة » من « الفتوى » التى أصدرها بجواز التَّعَبُّد على مذهب « الشيعة الإمامية » ، ونص هذه الفتوى كما جاء فى أقوال الإمام الأكبر :

١ ـ أن الإسلام لا يُوجب على أحد مِنْ أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول : إن لكل مسلم الحق فى أن يُقَلِّدَ ـ بادىء ذى بدء ـ أىَّ مذهبٍ من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحًا ، والمدوَّنة أحكامها فى كتبها الخاصة ، ولمن قلَّدَ مذهبًا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أىّ مذهب كان ـ ولا حرج عليه فى شىء من ذلك .

٢ ـ أن مذهب الجعفرية ـ المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ـ مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يُـقِـرُّونه فى فقههم ، ولا فرق فى ذلك بين العبادات والمعاملات .

غلاة .. ولكن بغير عقل :

لا أحد ينكر وجود الغلاة فى كل طائفة وفى كل مذهب ، ولا أحد يستطيع إنكار « بؤر الخلافات والغلو والتعصب» ، فلا يزال من السنة مَنْ يتوهم تعلُق الشيعة بالإمام علىّ تعلق المخلوق بالخالق . . !! كما لا يزال من الشيعة من يتوهم عداوة أهل السنة للإمام علىّ وآل بيته الطاهر . !

وجهان « لعملة كريهة » اسمها الجهل . . وخبال نفوس مريضة فقدت العقل ! .

موقف « الشيعة الإمامية » من هؤلاء الغلاة :

والغلاة فى نظر الشيعة ـ أصناف :

منهم السبئية ، أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو أول من أظهر الـغُلُوَّ ، قال هؤلاء :

حل فى « علىّ » جزء إلهى واتحد بجسده ، وبه يعلم الغيب ، وأتى فى الغمام ، والرعد صوته ، والبرق تبسُّمه ، وينتقل هذا الجزء الإلـهى بنوع من التناسخ من إمامٍ إلى إمام ! .

ومنهم الخطَّابية ، أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى ، قالوا : إن جعفرًا الصادق هو إله زمانه ، قال الشهرستانى : قد بالغ الصادق فى التبرى من أبى الخطَّاب واللعن عليه ! .

ومنهم المفوضة ، قالوا : إن الله خلق الأئمة ، ثم اعتزل تاركاً لهم خَلْقَ العالم ، وتدبير شئونه ! » .

ومن الغلاة من يدين بثالوث مكون من الأب ، وهو على ، والابن ، وهو محمد ، وروح القدس ، وهو سلمان الفارسى . ومن الطريف قول بعضهم : أن يوم الأحد معناه علىّ ، ويوم الاثنين معناه الـحَسَن والـحُسَين ! .

وقد ذكر الشهرستانى فى كتاب المِلَل والنِّحَل فِـرَقًا عِدَّة للـغُلاة[1]، ولكن هذه الفرق كلها ترجع إلى أن الأئمة آلِهَة ، أو أشباه آلِهَة ، أو أنصاف آلهة ، وعلى أى الأحوال فإنَّ للغلاة دينهم الخاص ، وهو لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة ، وما زال كثير من الكُتَّاب ينسب ـ جهلاً أو تنكيلاً ـ عقيدة الغلاة إلى جميع فرق الشيعة ، حتى الإمامية، مع أن الإمامية قد استدلوا بكتب العقائد والأصول على كُفْر الـغُلاة ، ووجوب البراءة منهم ، ومن كل ما فيه شائبة الغلو . ومن أدلتهم على نفى المغالاة قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [2]. وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ

---

(١) الفرق بائدة ولا وجود لها الآن إلا فى بطن الكتب . « انظر دعوة التقريب ـ تاريخ ووثائق ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٤١٢ هـ » .

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٧٧ .

﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾[١] . وقول الإمام علىٍّ كَـرَّم الله وجهه : « هلكَ فِىَّ اثنان : مبغضٌ قالٍ ، ومُحِبّ غالٍ» . وقول جعفر الصادق : « وما نحن إلا عبيدُ الذى خلَقَنا واصطفانا ، والله مالنا على الله من حُجَّة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنَّا لميتون وموقوفون ومسئولون ، مَنْ أَحَبَّ الـغُلاة فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، الغلاة كُفَّار ، والمفوضة مشركون ، لعَنَ الله الـغُلاة ، إلاّ كانوا نصارى ، إلاّ كانوا قدرية ، إلا كانوا مرجئة ، إلاّ كانوا حرورية [٢] أى خوارج ، فالإمامية يعتقدون أن الخوارج الذين حاربوا عليًّا هم أفضلُ من الغُلاة الذين ألَّـهُـوه وألَّـهُوا أبناءه .

وأجمع علماء الإمامية على نجاسة الغُلاة، وعدم جواز تغسيل ودفن موتاهم، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة ، وعلى أنه لا يحل للغالى أن يتزوج المسلمة ، ولا للمسلم أن يتزوج الغالية ، مع أن الإمامية أجازوا الزواج بالكتابية ، وأجمعوا أيضًا على أن المسلمين يتوارثون . وإن اختلفوا بالمذاهب والأصول والعقائد ، قالوا : يرث الُـمحقُّ من المسلمين من مُبْطِلهم ، ومُبطلهم من مُحِقِّهم ومبطلهم ، إلاَّ الغُلاة ، يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون من المسلمين [٣] .

* * *

(١) سورة الزخرف ـ الآية ١٥ .

(٢) كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسى ـ المجلد الثالث ـ صفحة ٥١ ، ٥٢ ، طبعة ١٣٠١ هـ.

(٣) نجد هذه الفتاوى فى باب الطهارة ، وباب الزكاة ، وباب الزواج ، وباب الإرث من كتاب الجواهر ، وكتاب المسالك ، وكتاب العروة الوثقى ، وكتاب وسيلة النجاة الكبرى للسيد أبى الحسن الأصفهانى وغيرها من كتب الفقه للشيعة الإمامية .

إن الحقائق لا تزول بالأوهام ، لهذا عقدتُ العزم على تبيان هذه الحقائق فى هذا الكتاب ، كما عقدت العزم على محو هذه الأوهام التى جعلت البعض منا يحارب البعض . . والتى جعلت من السنة والشيعة طرفين فى خصومة لا مبرر لها فى هذا الزمن وهذا الوقت ! .

قد تكون هناك خلافات، غير أنها خلافات تندرج تحت راية الاجتهاد والبحث ، كما أنها خلافات يقع أمثالها بين أصحاب المذاهب الأربعة المعروفة عند أهل النظر والرأى .

إن هذا الكتاب موجه فى الأصل إلى الشيعة الإمامية وأهل السنة ، أمَّا « الزيود » من أهل اليمن فليست لهم مع أهل السنة مشكلة ، وتضيق شقة الخلاف فيما بينهم وبين أهل السنة ، حتى لا تكاد تفرق بين الزيود وبين السنة ! .

ما يحدث فى أفغانستان كارثة جديدة على الإسلام :

إن الذى يحدث فى « أفغانستان » يثير الاشمئزاز . . صِبْيَة لا يزالون يحبون فى مدارج العلم يحكمون بلدًا أثخنته جراح الفتن ، وعَانَى رجاله ونساؤه وأطفاله مالا يُطاق ولا يُحْتَمَل من عوادى الزمن ! .

لم يَكْفِ هؤلاء ما أصاب « أفغانستان » على مدى سبعة عشر عاماً من الاقتتال والحرب، ومن الصراع على السُّلطة والحكم، فجاءوا بإسلام يعتبر « اللحية » هى جواز المرور إلى جنة الخلد ! أو إلى ساحة الإعدام والموت عند الحلق ! .

وجاءوا بإسلام يعتبر التصوير والموسيقى من كبائر الإثم .

وجاءوا بإسلام يُحَرِّمُ على المرأة ارتداء جوارب بيضاء ، لأن هذه الجوارب مما يلفت النظر ويثير غرائز الكبت ! .

إننا نجنى ثمار الجهل والتخلف ، ونجنى ثمار الفرقة والتشرذم ، ونجنى ثمار الفتن التى لا تزال نيرانها تشتعل وتضطرم .

حقائق الإيمان والإسلام عند أهل السنة :

وبعيدًا عن ظُلمات الجهالة والتخلف ، وخروجاً من نفق التكفير والتعصب ، وحرصاً على وحدة الأمة المسلمة من الانهيار والضياع ، علينا جميعاً أن نسأل ونتساءل :

من هو المسلم الذى تجرى عليه أحكام الإسلام ؟ .

ومن هو المسلم الذى يحرم دمه وماله وعرضه ـ كما قال النبى عليه الصلاة والسلام ؟ يقول الإمام الأكبر « الشيخ محمود شلتوت » فى كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة »[1] :

« ... إن العقيدة هى الجانب النظرى الذى يجب الإيمان به ـ أولاً وقبل كل شىء ـ إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة . . ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تَقْرِيرِهَا ، وإجماع المسلمين

---

(١) لقد قرأتُ فى هذا الموضع كثيرًا من كتب العقائد عند أهل السنة ، واخترت من بينها كتاب الإمام الراحل لسهولته ويسره .

عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة برغم ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيها وراءها !وهى أوَّل ما دعا إليه الرسول ، وطلب من الناس الإيمان به فى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة [1] ، وهى دعوة كل رسول جاء من قِبَلِ الله ، كما دَلَّ على ذلك القرآن فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين .

والشريعة هى النُّظُم التى شَـرَعَها الله ، أو شرع أصولها ، ليأخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه [2] ، وعلاقته بأخيه المسلم [3] ، وعلاقته بأخيه الإنسان [4] ، وعلاقته بالكون [5] وعَلاَقَته بالحياة [6] .

العقيدة والشريعة فى القرآن :

وقد عبر القرآن عن العقيدة « بالإيمان » ، وعن الشريعة « بالعمل الصَّالح » ، وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [7] . . ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ

---

(١) هى المرحلة التى قام بها من مبدإ الرسالة إلى نهاية وجوده فى مكة . وتتجلى عناصرتلك الدعوة فى السور المكية كلها ، وقد عنيت السور المكية ببيان ذلك كله ، وأصبحت هى المصدر الأول للعلم والإيمان .

(٢) وسبيلها : أداء الواجبات الدينية ، كالصلاة والصوم .

(٣) وسبيلها : تبادل المحبة والتناصر على الدوام والأحكام الخاصة بتكوين الأسرة والميراث .

(٤) وسبيلها : التعاون فى تقدم الحياة العامة ، والسلم العام .

(٥)وسبيلها : حرية البحث والنظر فى الكائنات ، واستخدام آثارها فى رقى الإنسان .

(٦) وسبيلها : التمتع بلذائذ الحياة الحلال ، دون إسراف أو تقشف .

(٧) الآيتان : ١٠٧ و ١٠٨ من سورة الكهف .

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١) . . ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾(٢) . .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٣) .

ومن هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط ، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط ، وإنما كان عقيدة ، وكان شريعة توجه الإنسان إلى جميع نواحى الخير فى الحياة .

والعقيدة فى الوضع الإسلامى هى الأصل الذى تُبْنَى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة ، ومن ثَمَّ فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلاّ بوجود العقيدة كما لازدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له أساس، فهى لا تستند إلى تلك القوى المعنوية التى توحى باحترام الشريعة ، ومراعاة قوانينها ، والعمل بموجبها دون حاجة إلى معونة أى قوة من خارج النفس .

---

(١) الآية ٩٧ من سورة النحل .

(٢) سورة العصر .

(٣) الآية ١٣ من سورة الأحقاف .

وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة ، لا يكون مسلماً عند الله ، ولا سالكاً فى حكم الإسلام سبيل النجاة .

أما العقائد الأساسية فى الإسلام، فقد حددها الإمام الأكبر فى هذه النقاط :

أولا : وجود الله ووحدانيته، وتفرده بالخلق والتدبير والتصرف ، وتنزهه عن المشاركة فى العزة والسلطان ، والمماثلة فى الذات والصفات ، وتفرده باستحقاق العبادة والتقديس ، والاتجاه إليه بالاستعانة والخضوع ، فلا خالقَ غيره ، ولا مُـدَبِّـرَ غيره ، ولا يماثله مما سواه شىء ، ولا يشاركه فى سلطانه وعزته شىء ، ولا تخضع القلوب وتتجه إلى شىء سواه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1] . .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] . .

(١) سورة الإخلاص .

(٢) الآية ١٤ من سورة الأنعام .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١) .

ثانياً : أن الله يصطفى من عباده من يشاء ، ويُحمله رسالته ـ عن طريق ملائكته ووحيه إلى خلقه ـ ثم يبعثه إليهم رسولاً يبلغهم ، ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح ، ومن هنا وجب الإيمان بجميع رسله الذين قصهم علينا من نوح عليه السلام ، إلى محمد عليه السلام .

ثالثاً : الإيمان بالملائكة « سفراء الوحى بين الله ورسله » ، وبالكتب «رسالات الله إلى خلقه » ، كما أُنزلت على أنبيائه ورسله .

رابعاً : الإيمان بما تضمنته هذه الرسالات من يوم البعث والجزاء و«الدار الآخرة »، ومن أصول الشرائع والنظم التى ارتضاها الله لعباده، مما يناسب استعدادهم، وتقضى به مصالحهم على الوجه الذى يكونون به مظهرًا حقًّا لعدله ورحمته ، وجلاله وحكمته .

خامساً: وقد جعل الإسلام عنوانَ تحقق هذه العقائد عند الإنسان الشهادة بأن الله واحد ، وأن محمدًا رسوله : (أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأَنَّ محمدًا رسول الله) . . وكانت تلك الشهادة هى المفتاح الذى يدخل به الإنسان فى الإسلام، وتجرى عليه أحكامه. فالشهادة بوحدانية الله

(١) سورة الأنعام الآيات : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

تتضمن كمال العقيدة فى الله من جهتى الربوبية (الخلق والتربية) ، والألوهية (العبادة) .

والشهادة برسالة محمد « ﷺ» تتضمن التصديق بكمال العقيدة فى الملائكة والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، وأصول الشريعة والأحكام .

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ (1) . .

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (2)

سادساً : وعليه ، فمن لم يؤمن بوجود الله ، أولم يؤمن بوحدانيته وتنزهه عن المشابهة والحلول والاتحاد ، أو لم يؤمن بتفرده بتدبير الكون والتصرف فيه ، واستحقاق العبادة والتقديس ، واستباح عبادة مخلوقٍ مَّا من المخلوقات ، أو لم يؤمن بأن لله رسالاتٍ إلى خلقه ، بعث بها رُسُلَهُ ، وأنزل بها كُتبه عن طريق ملائكته ، أو لم يؤمن بما تضمنت الكتب من الرسل ، أو فَرَّقَ بين الرسل ، فآمَنَ بالبعض وَكَفَر

---

(1) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(2) الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

بالبعض، أو لم يؤمن بأن الحياة الدنيا تفنى ويعقبها دار أخرى هى دار الجزاء ودار الإقامة الأبدية ، بل اعتقد أن الحياة الدنيا حياة دائمة لا تنقطع ، أو اعتقد أنها تفنى فناء دائماً لا بَعْثَ بعده ولا حساب ولا جَزَاءَ، أو لم يؤمن بأن أُصول شَرع الله فيما حَرَّمَ وفيما أَوْجَبَ هى دِينُه الذى يجب أن يُتَّبَعَ ، فحرَّم من تلقاء نفسه ما رأى وجوبه ... من لم يؤمن بجانبٍ من هذه الجوانب ـ أو حلقة من هذه الحلقات ـ لا يكون مسلماً ، ولا تجرى عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله ، وفيما بينهم بعضهم وبعض .

لا تكفير لِمَنْ ينطق بالشهادتين :

والحقيقة أو القاعدة الأولى [1] : أن الإنسان يدخل الإسلام بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمدًا رسول الله .

فَمَنْ أَقَـرَّ بالشهادتين بلسانه فقد دخل فى الإسلام ، وأُجريت عليه أحكام المسلمين ، وإنْ كان كافراً بقلبه ، لأَنَّا أُمِـرْنَا أن نحكم بالظاهر، وأن نَكِلَ إلى الله السرائر . ودليلنا على ذلك[2] :

أولا : حديث أُسامة بن زيد ، رضى الله عنهما . . فعن البخارى وغيره أنه قَتَلَ رجلاً شهرَ عليه السيف ، فقال : « لا إله إلا الله » ، فأنكر عليه النبى «ﷺ» ذلك أشد الإنكار ، وقال : أَقَتَلْتَهُ بعد ماقال

(١) ظاهرة الغلو فى التكفير . د / يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة من صفحة ٢٥ إلى صفحة ٣١ .

(٢) وهذا مبدأ مهم فى تعريف المسلم ، وهو مبدأ يهدم كل التعليلات التى يتمسك بها دعاة تكفير المسلمين من أية طائفة .

«لا إله إلاَّ الله » ؟ ! فقال : إنَّمَا قالها تعوذًا من السيف ؟ فقال : هَلاَّ شَقَقْتَ عن قلبه ؟ ! وفى بعض الروايات كيف لك بـ « لا إله إلا الله » يوم القيامة ؟ .

ولهذا جاء عن بعض السلف : الإسلام الكلمة . . يعنى : كلمة الشهادة .

وأما الصلاة والصيام وسائر شرائع الإسلام وفرائضه، فإنما يُطالَب بها بعد أن يصبح مسلماً ، إذ هى لا تصح ولا تقبل إلاَّ من مسلم .

أما الكافر فلا صلاة له ولا صيام ولاحج . . إلخ ، لفقدانه شرط القبول ـ وهو الإسلام .

ثانيا: أن من مات على التوحيد ـ أى على : لا إله إلا الله ـ استحق عند الله أمرين :

الأول : النجاة من الخلود فى النار ، وإِنِ اقترفَ من المعاصى مااقترف، سواء منها ما يتعلق بحقوق الله، كالزنا ، أو بحقوق العباد، كالسرقة . وإنْ دخل بذنوبه النار فَسَيَخْرُجُ منها لا محالةَ مادام فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان .

الثانى : دخول الجنة لا محالة ، وإن تأخر دخوله ، فلم يدخلها مع السابقين ، بسبب عذابه فى النار لمعاصى لم يتب منها ، ولم تُكَفَّـرْ عنه من الأسباب . . والدليل على ذلك أحاديث صحاح مشهورة فى الصحيحين وغيرهما من كُتب السنة ، منها :

عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله «ﷺ» قال : « مَنْ شَهدَ أنْ لا إلٰه إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريم ، ورُوح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ماكَانَ مِنْ عَمَلٍ » .

وعن أبى ذَرٍّ قال : أتيتُ رَسُولَ الله «ﷺ» فقال : « ما من عبدٍ قال لا إلٰه إلاَّ الله ، ثم مات على ذلك إلاَّ دخل الجنة » .

و « إن الله حَـرَّمَ على النار مَنْ قال لا إلٰه إلاَّ الله يبتغى بها وجه الله » .
أى : لم يَقُلها لمجرد أن يعصم بها دمه وماله ، كالمنافقين فى عهد النبوة .

وعن أَنَسٍ : أن رسول الله « ﷺ» قال :

« يخرجُ من النار مَنْ قال لا إلٰه إلاَّ الله وكان فى قلبه من الخير ما يَزِنُ بُـرَّة » [1] .

وهذه الأحاديث كلها متفق عليها فى الصحيحين .

وفى الصحيحين أيضًا من حديث أبى ذَرٍّ ، أن النبى « ﷺ» قال : «أتانى جبريل فَبَشَّـرَنى : أنه من مات من أُمَّتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : وإنْ زَنَى وإنْ سَـرَق ؟ قال : وإنْ زَنَى وإنْ سَـرَق » .

وفى صحيح مسلم من حديث الـصُّنَابِحِىِّ عن عبادة قال :

---

(١) بُرَّة ، يعنى : حَبَّة قمح .

سمعتُ رسولَ الله « ﷺ » يقول : « من شَهِدَ أنْ لا إلٰه إلاَّ الله ، وأَنَّ محمدًا رسول الله ، حَـرَّمَ اللهُ عليه النار » .

وغير هذه الأحاديث كثير ، ودلالتها صريحة واضحة على أن كلمة الشهادة، موجبة لدخول الجنة والنجاة من النار .

والمراد بدخول الجنة : دخولها ولو فى النهاية ، بعد استحقاق العذاب فى النار زمناً مّا .

الشيعة الإمامية مسلمون

كأهل السنة :

هذه هى أصول العقيدة عند « السنة » ، فهل أنكر الشيعة الإمامية شيئًا من هذه العقيدة؟ وهل أنكروا شيئاً مما عُلِمَ من الدين بالضرورة[1]؟ يقول : الشيخ حسين آل كاشف الغطاء فى كتاب « أصل الشيعة وأصولها » ما يلى :

العقائد الأساسية عند الشيعة الإمامية :

أولا : يعتقد « الشيعة الإمامية» بوحدانية الله تعالى فى الأُلوهية ، وعدم شريك له فى الربوبية ، واليقين بأنه هو المستقل بالخَلْق والرزق ، والموت والحياة ، والإيجاد و العَدَم ، بل لا مؤثر فى الوجود عندهم إلا

(١) راجعنا فى هذا الباب كثيرًا من كتب الشيعة ، ومن أهم هذه الكتب : أصل الشيعة وأصولها ، وكتاب عقائد الإمامية ، وكتاب المراجعات وكتاب الشيعة فى عقائدهم ، وكتاب الشيعة فى الميزان ، وكلها كتب معروفة عن الشيعة .

الله ، فمن اعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك ، خارج عن ربقة [1] الإسلام . وكذا يجب عندهم إخلاص الطاعة والعبادة لله ، فمن عَبَدَ شيئاً معه أو شيئاً دونه ، أو ليُقَـرِّبَهُ زُلْفَى إلى الله ، فهو كافر عندهم أيضاً ، ولا تجوز العبادة إلاَّ لله وحده لا شريك له .

ثانياً: يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نصّ عليهم القرآن الكريم رُسُلٌ من الله ، وعِبادٌ مُكْـرَمُونَ بُعِثُوا لدعوة الخَلْق إلى الحق .

وأن محمدًا خاتم الأنبياء وسيد الرسل ، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ، وأنه ما ارتكب المعصية مدة عمره ، ما فَعَلَ إلاَّ ما يوافق رضا الله سبحانه وتعالى حتى قَبَضَهُ الله إليه ، وأن الله سبحانه وتعالى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِجَ من هناك بجسده الشريف إلى فوق العرش والكرسى وما وراء الحجب والسُّـرادقات حتى صار من ربه قاب قوسين أو أَدْنَى .

ثالثًا: يعتقد الشيعة الإمامية أن الكتاب (أى المصحف) الموجود بين أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله للإعجاز والتحدى ، وتمييز الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وهذا هو إجماعهم الذى لا خلاف فيه مع إخوانهم من أهل السنة .

(١) الرِّبْقَة : العروة أو الحلقة ، وتطلق أيضًا على الحبل ذى العُـرَى .

حوار آخر مع الشيخ محمد الغزالى :

يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالى [1]:

جاءنى رجل من العوام مغضبًا ، يتساءل : كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهب إسلامى كسائر المذاهب المعروفة ؟ .

فقلتُ للرجل : ماذا تعرف عن الشيعة ؟ .

فسكت قليلا ثم أجاب :

ناس على غير ديننا ! فقلت له : لكنى رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلى ونصوم !! فَعَجِبَ الرجل [2] وقال : كيف هذا ؟ ! .

قلت له : والأغربُ أنهم يقرءون القرآن مثلنا ، ويُعَظِّمونَ الرسول «ﷺ» مثلنا ، ويحجون إلى البيت الحرام . . ! .

قال : لقد بلغنى أن لهم قرآناً آخر ، وأنهم يذهبون إلى الكعبة كى يحقرونها ! فنظرتُ للرجل راثياً [3] وقلت له :

ـ أنت معذور ، إن بعضنا يشيع عن البعض الآخر ما يحاول به هدمه . .

لا أنكر أن هناك خلافاً نشب بين بعض العلماء والبعض الآخر ، بيد

---

(١) محمد الغزالى ـ دعوة التقريب ـ تاريخ ووثائق ـ ص ١٤١ .
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) عجب الرجل : أنكَرَ .

(٣) أى : مُشفِقًا عليه .

أن ذلك لا يسوغ نقله إلى ميدان الحياة العامة ، ليقسم أمتنا ويصدع حاضرها ومستقبلها . وَهَبْ ذوى الأغراض أو ذوى البلاهة صنعوا ذلك قديماً ، فَلِحِسَاب مَنْ يستبقى هذا الشر ، وتعانى الأمة كلها ويلاته ؟ بل لحساب من يستبقى هذا الشر حتى يجيء من الأجانب من يقول : هناك إسلام سُنِّى وإسلام شيعى !! .

جَزَى الله العاهل الفارسى « نادر شاه » على جهاده لجمع الكلمة ولَمِّ الشمل . . غير أن دور التقريب يقع فى عصرنا على العلماء قبل أن يقع على الحكام ... صحيح أن الخلاف نشأ سياسيًا ، ووسعت شقته مسالك الحكام ومطامع السلطان . .

وعلى الساسة أن يصلحوا ما أفسد أسلافهم ، وأن يُسخروا قواهم فى التجميع بعدما سخرت قديماً فى الفتق والشتات ... لكن الدور الآن للعلماء ـ كما قلت ـ فإن العِلْم تأثر بالحكم دهرًا ، وتلونت الدراسات الدينية بمآرب الحاكمين ، ثم ذهب المنتفعون من ذوى السلطة وبقى المخدوعون من أهل العلم ، أعنى العَامَّةَ وأشباههم . . !!

فعلينا نحن ـ حَمَلَةَ الإسلام ـ أن نُصَحِّحَ الأوضاع ، وأن نزيل الأوهام . وأعتقد أن فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ « محمود شلتوت » شوط واسع فى هذه السبيل ، وهى استئناف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعاً ، وتكذيب ما يتوقعه المستشرقون من أن الأحقاد سوف تأكل هذه الأمة قبل أن تلتقى صفوفها تحت راية واحدة ، وهذه الفتوى فى نظرى بداية الطريق ، وأول العمل .

رابعا: كما يعتقد الشيعة أن الله (عَدْلٌ) ، يُحب العَدْلَ . . والعدل ضد الظلم ، والعادل لا يأمر ولا يرضى بالظلم ، ولا يريد الظلم ، كما لا يأمر بالكفر ولا يرضى بالكفر .

وقد تفرع عن هذا الاعتقاد أن الإنسان (مُـخَيَّـرٌ) لا (مُـسَيَّـر) ، وأنه - أى الإنسان - فى جميع أعماله حر . . وأنه المسئول مسئولية كاملة عن جميع أعماله ، إنْ خيرًا فَخَـيـرٌ ، وإنْ شرًّا فَشَـرٌّ . . وأن الله تعالى أناطَ فِعْل الإنسان باختياره ، وإن كان قادرًا على منعه [1] . . وبَيَّنَ له سبيل الخير فأمره به ، وسبيل الشر فنهاه عنه ، فَإنْ عصاه فبسوء اختياره، وإنْ أطاعه فبهدايته له ، كما نص عليه القرآن فى سورة الإنسان بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [2] ، وقوله تعالى فى سورة البلد : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[3]، أى : أرشدناه إلى طريق الخير والشر ، وقوله تعالى فى سورة الشمس :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [4]، أى : دَلَّهَا وبَيَّنَ مافيه فلاحَها وما فيه خسرانها ، فأَمَره بالأول ونَهَاه عن الثانى ، فزكاتها بفعله وخيبتها بدسِّه ، فكل ذلك باختياره ، كما جاء التصريح به فى كتاب الله فى سورة الكهف فى قوله تعالى :

---

(١) وهذا هو رأى « المعتزلة » . . وهم فريق من أهل السنة .

(٢) الآية الثالثة من سورة الإنسان .

(٣) الآية العاشرة من سورة البلد .

(٤) الآيات من ٧ - ١٠ من سورة الشمس .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾[1].

من هو الكافر ؟

وقد جاء فى كتاب (المواقف) « لعضد الدين الإيجى » وشرحه «للسيد الشريف الجُرْجَانى » ، وهو من الكتب التى تعد عمدة المتأخرين من الأشاعرة أنَّ : « جمهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القِبْلَة ، فإن الشيخ أبا الحسن ـ يعنى الأشعرى ـ قال فى أول كتابه (مقالات الإسلاميين) : « اختلف المسلمون بعد نبيهم عليه السلام فى أشياء ، ضلل بعضُهم بعضاً ، وتبرأ بعضُهم من بعض، فصاروا فِرَقاً متباينين ، إلاَّ أن الإسلام يجمعهم ويعمهم ، فهذا مذهبه، وعليه أكثر أصحابنا » .

وقد نقل عن الشافعى أنه قال : لا أَرُدُّ شهادة أَحَدٍ من أهل الأهواء ـ البدع ـ إلاَّ الخَطَّابية ، فإنهم يعتقدون حِلَّ الكَذب .

وحَكَى الحاكم صاحب المختصر فى كتاب « المنتقى » عن أبى حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ أنه لم يُكَفِّرْ أحدًا من أهل القِبْلَة .

وأيد صاحب « المواقف » وشارحه رأى جمهور المتكلمين والفقهاء فى عدم تكفير أحد من أهل الإسلام ، ولو خالف الحق فى بعض المسائل الاعتقادية ـ التى اختلف فيها أهل القبلة ـ مثل :

---

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة الكهف .

هل الله مُوجِدٌ فِعْلَ العَبد أولا ؟ هل له جِهَةٌ أو لا ؟ هل يُرَى فى الآخرة أولا ؟ هل يريد المعاصى أولا ؟ ونحو ذلك من القضايا النظرية . . لم يكن النبى « ﷺ » . يسأل مَنْ دخل فى الإسلام ـ وحكم بإسلامه ـ عن اعتقاده فيها، ولا يبحث عن ذلك، وكذلك الصحابة والتَّابِعُون[1].

فعلم أن صحة دين الإسلام لا تتوقف على معرفة الحق فى تلك المسائل ، وأن الخطأ فيها ليس فادحاً فى حقيقة الإسلام ، إذ لو توقفت صحة الإسلام عليها، وكان الخطأ فادحًا فى تلك الحقيقة لوجب أن يبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، لكن لم يجرِ حديث شىء منها فى زمانه «ﷺ»، ولا فى زمانهم أصلاً [2] .

وقال الإمام الغزالى ـ بعد كلامٍ عن المعتزلة والـمُشَبِّهَة والفِرَقِ الـمُبْتَدِعَة :

« والذى ينبغى أن يميل المحصل إليه : الاحتراز عن التكفير ماوجد إليه سبيلا ، فإنَّ استباحة الدماء والأموال من المُصَلِّين إلى القبلة المصرحين بقول : لا إله إلَّا الله ـ خطأ . .

والخطأ فى ترك ألف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك محجمة من دم مسلم ...

(١) نقلا عن كتاب « ظاهرة الغلو فى التكفير » . د/ يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .
(٢) انظر « المواقف » و شرحه ـ جـ ٨ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

وقد قال ﷺ: أُمِـرْتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا : لا إلٰه إلاَّ الله محمد رسول الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مِنِّى دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها »[1] .

وقال أيضاً : « لم يثبت لنا أن الخطأ فى التأويل مُوجِبٌ للتكفير ، فلابد من دليل عليه ، وثبت لنا أن العصمة مستفادة من قول :

« لا إلٰه إلاَّ الله» قطعًا ، فلا يُدفع ذلك إلا بقاطع » .

خامساً: يعتقد الإمامية ـ كما يعتقد سائر المسلمين ـ أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويُحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ، وَالْـمُعَادُ هو الشخص ، بعينه وبجسده وروحه ، بحيث لو رآه الرائى لقال : هذا فلان .

ولا يجب أن تُعرف كيف تكون الإعادة ، وهل هى من قبيل إعادة المعدوم أو ظهور الموجود ؟ أو غير ذلك .

ويؤمنون بجميع ما فى القرآن والسنة القطعية : مِنَ الجَنَّة والنار ، ونعيم البرزخ وعذابه ، والميزان ، والصراط ، والأعراف[2] والكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها . . وأن الناس مجزيون بأعمالهم ـ إنْ خيرًا فَخَيْـرٌ ، وإنْ شَـرًّا فشر :

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ـ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ـ ط : مطبعة دار الكتب ـ بيروت .
(٢) البرزخ : ما بين الموت والبعث ـ والأعراف : الحاجز بين الجنة والنار .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]

سادساً : الإمامة والخلافة عند الشيعة وأهل السنة :

و الشيعة الإمامية زادوا (رُكْنًا آخَر)[2] هو الاعتقاد بالإمامة ، يعنى أن يعتقد أن الإمامة منصب إلٰهى كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن يُنَصِّبَهُ إماماً للناس من بَعْدِهِ غير أن الإمام لا يُوحَى إليه كالنبى ، وإنما يتلقى الأحكام منه ، مع تَسْدِيدٍ إلٰهى ، فالنبى مُبَلِّغٌ عن الله ، والإمام مُبَلِّغٌ عن النبى .

والإمامة متسلسلة فى اثنى عشر إماماً ، كل سابق ينص على اللاَّحِق ، ويشترطون أن يكون معصومًا ـ كالنبى ـ عن الخطأ والخطيئة ، وأن يكون أفضل أهل زمانه فى كل فضيلة ، وأعلمهم بكل علم ، لأن الغرض منه تكميل البشر ، وتزكية النفوس وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[3] والناقص لا يكون مكملا ، فالإمام فى

---

(١) سورة الزلزلة ـ الآيتان ٧ , ٨ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ـ سماحة الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ـ ص ١٢٨ ومابعدها .

(٣) سورة الجمعة ـ من الآية الثانية .

الكمالات دون النبى وفوق البشر ، فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذى ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأَخَصّ ، وإذا اقتصر على تلك الأركان الأخرى فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأَعَمّ ، تترتب عليه جميع أحكام الإسلام ،مِنْ حُـرْمَة دَمِهِ ، ومالِه ، وعِـرْضِه ، ووجوب حِفْظه ، وحرمة غَيْبَتِه وغير ذلك ، لا أنه بعدم الاعتقاد بالإمامة يخرج عن كونه مسلماً .

* * *

هذا هو مفهوم (الإمامة) عند الشيعة الإمامية ، فما الفرق بين هذا (المفهوم) عند الشيعة ، و مفهوم (الإمامة) عند أهل السنة ؟ .

يقول العلاَّمة الشيخ محمد رشيد رضا فى كتاب (الخلافة) :

« الخلافة ، والإمامة العظمى ، وإمارة المؤمنين ، ثلاث كلمات معناها واحد ، وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا » .

وقال العلامة الأصولى المحقق السعد التفتازانى فى متن مقاصد الطالبين ، فى علم أصول عقائد الدين [1] : « الإمامة هى رئاسة عامة فى أمر الدين والدنيا ، خلافة عن النبى (ﷺ) .

---

(١) توفى سعد الدين سنة ٧٩١هـ ، وطبع شرحه للمقاصد فى الآستانة سنة ١٣٠٥ هـ ، وهو عمدة علماء الكلام من العرب والترك وغيرهم .

وقال العلامة الفقيه أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتابه «الأحكام السلطانية » :

« الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا . . !

كما أجمع سلف الأمة ، وأهل السنة ، وجمهور الطوائف الأخرى على أن نَصْبَ الإمام - أى توليته على الأمة - واجب على المسلمين شرعاً لاعقلاً فقط كما قال بعض المعتزلة ، واستدلوا بأمور لخصها السعد فى متن المقاصد بقوله : « لنا وجوه :

الأول: الإجماع ، وبَيَّنَ فى الشرح أن المراد إجماع الصحابة . قال : وهو العمدة ، حتى قدموه على دفن النبى ﷺ .

الثانى: أنه لا يتم إلاَّ به ما وجب من إقامة الحدود ، وسَدِّ الثغور، ونحو ذلك مما يتعلق بحفظ النظام .

الثالث : أن فيه جلبَ منافع ودَفْعَ مضار لا تحصى ، وذلك واجب إجماعًا .

الرابع : وجوب طاعته ، ومعرفته بالكتاب والسنة ، وهو يقتضى وجوب حصوله ، وذلك بنصبه » أ . هـ .

وقد اتفق أهل السنة على أن نَصْبَ الخليفة فَرض كفاية ، وأن المُطَالَب به أهلُ الحل والعقد فى الأمة .

ولكن اضطرب كلام بعض العلماء فى أهل الحل والعقد مَنْ هم ؟ وهل تُشترط مبايعتهم كلهم أم يُكْتَفى بعدد معين منهم ؟ أم لا يشترط

العدد ؟ وكان ينبغى أن تكون تسميتهم بأهل الحل والعقد مانعة من الخلاف فيهم ، إذ المتبادر منه أنهم زُعماء الأمة وأُولو المكانة وموضع الثقة مِنْ سَوادِها الأعظم .

أمَّا العدالة التى هى الشرط الأول ، فهى عند الفقهاء عبارة عن التحلى بالفرائض والفضائل ، والتخلى عن المعاصى والرذائل ، وعَمَّا يخل بالمروءة أيضًا ، واشترط بعضهم فيها أن تكون ملكة لا تكلفاً ، ولكن التكلف إذا التزم أصبح خُلُقًا .

وأمَّا العِلْم فيعنون به علم الدين ومصالح الأمة وسياستها ، وإذا أطلقوه كان المراد به العلم الاستقلالى الـمُعَبَّر عنه بالاجتهاد ، ويُفهم من كلام بعضهم أن الاجتهاد فى الشرع شرط فى مجموعهم ، لا فى كل فرد منهم .

وتقييده شرط العِلْم بما قيده به يدل على أنه يختلف باختلاف الزمان ، فإن استحقاق الإمامة فى هذا العصر يتوقف على علوم لم يكن يتوقف عليها فى العصور القديمة ، وقد ذكر بعض العلماء أن من مرجحات اختيار الصحابة لأبى بكر « رضى الله عنه » أنه كان أعلمهم بأنساب العرب ، وبأحوالهم ، وقواتهم ولأجل هذا لم يَهَبْ من قتال أهل الـرِّدَّةِ ما هابه عمر .

ولابد الآن للإمام وجماعة الشورى (أهل الحل والعقد) ـ الذين هم قِوَام إمامته وأركان حكومته ـ من العلم بالقوانين الدولية ، والمعاهدات

العامة ، بأحوال الأُمّة ، والدول المجاورة لبلاد الإسلام ، وذات العلاقات السياسية والتجارية بها ، من حيث سياستها وقوتها ، وما يخاف ويرجى منها ، ومما يحتاج إليه لاتقاء ضررها والانتفاع بها [1].

وهذا العلم هو المادة لما ذكر فى الشرط الثالث من الحكمة وجَوْدَة الرأى . ولم يشترط قوة العصبية فيهم ، لأن المفروض أنهم أهل الحل والعقد الذين تعتمد عليهم الأمة فى أمورها العامة ، وأن أحكام الشرع فيها هى الحاكمة والنافذة ، وأن المسلمين لا يدينون إلاَّ بها ، ولا يخضعون إلا لمن ينفذها ، وأما التغلب بعصبية الجنس فليس من هدى الإسلام فى شىء ، بل هو خروج عن هدايته ، وحكمه فيه .

دردشة حول شخصية الإمام :

ومن هنا يتبين أن نَصْبَ « الإمام » وإقامته فرض ، وأن الإمام يجب أن يكون أحسن الناس فى الدين والعقل ، وأن (الإمامة) ضرورة لحماية الدين والوطن والعرض ، وهذه كلها من الأمور التى لا يختلف عليها أحد ، ولكن « الشيعة » يرون أن تعيين « الإمام » يكون بالنص . فى حين يرى أهل « السنة » أن تعيين « الإمام » يتم بالاختيار والمشورة بين أهل الحل والعقد .

والإمام عند أهل « السنة » وعند الشيعة « خليفة » عن النبى ﷺ ومن ثـمَّ تجب له الطاعة من الجميع . كما يقرر الشرع ، وبينما يُجيز

(١) الخلافة - رشيد رضا - ص ٢٤ .

أهل السُّنَّة خَلْعَ « الإمام » إذا أخطأ وأساء التصرف ـ فإن « الشيعة » يختلفون مع أهل « السنة » فى هذا الرأى . . « فالإمام » عندهم معصوم من الخطأ . . لأن الله هو الذى اختاره لهذا المنصب ، ويستحيل على الله اختيار من يعرف عنه الخطأ ، أو يعرف عنه الميل عن العدل بالحق . . فالإمام عندهم (أى الشيعة) ـ فى الكمالات ـ فوق البشر ، ولكنه دون النبى .

الإمام عند الشيعة والصوفية :

قد يعترض البعض على هذا الوصف ، أى أن الإمام يتصرف ـ بإلهام ـ من الله دون الوحى ، أو أنه فوق البشر جميعاً ، ولكن دون النبى . . غير أن بعض الصوفية ـ من أهل السنة ـ يرددون مثل هذا القول ، وينسبون أكثر من ذلك إلى « قطب الزمان » . . و « إمام الوقت» .

كرامات مشتركة بين الإمام وقطب الزمان :

لقد ذهبوا إلى القول بِأَنَّهُ لما ذهبت النبوة ، وكان الأنبياء أوتاد الأرض ، أخلفَ الله مكانهم أربعين رجلاً من أُمَّة محمد «ﷺ» ، يُقَال لهم الأَبْدَال ، لا يموت الرجل منهم حتى يخلف الله مكانه رجلاً آخَر ، وهم أوتاد الأرض ، يُسْقَى بهم الغيث ، ويُنْتَصَـرُ بهم على الأعداء [1] .

وقد ألف العلاَّمة جلال الدين السيوطى فى ذلك رسالة قال فى

---

(١)الفتوحات المكية ج ٣ ص ٣٣٧ .

مقدمتها : « بلغنى عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء ، من أن لهم أبدالاً ،و نقباء ، ونجباء ، وأوتادًا ، وأقطاباً، وقد وردت الآثار والأحاديث بإثبات ذلك ، فجمعتها فى هذا الجزء لتستفاد ، ولا يعول على إنكار أهل العناد ، وسميته « الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد ، والنجباء والأبدال » [1].

فإذا وَلَّى اللهُ مَنْ وَلَّاه النظرَ فى العالم ـ وهو المُعَبَّرُ عنه بالقُطب ، أو الغوث ، أو واحد الزمان ، أو الخليفة ـ نَصَبَ اللهُ له فى حضرة المثال سريرًا أقعده عليه ، فإذا نَصَبَ اللهُ له ذلك السرير خَلَع عليه جميع الأسماء التى يطلبها العالم وتطلبه ، وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة ، فالسعيد من عرف إمام وقته فبايعه ، وحَكَّمَهُ فى نفسه وأهله وماله [2].

التحدث إلى الموتى :

وبما أن للقطب ، أو الغوث ، هذه الهيمنة والسلطة على العالم ، فلا عجب أن يتحدث إلى الموتى ويتكلم إليهم ، ويتبادل الرأى والمشورة معهم .

وقد ذكر الشعرانى أن السيد البدوى كان يُخْرِجُ يَدَهُ من قبره ويُصَافحه ! وأنه ـ أى الشعرانى ـ كان يتحدث إليه ويكلمه [3] . .

---

(١) الحاوى للفتاوى ـ ج ٢ ص ٤١٧ .

(٢) الفتوحات المكية ـ ج ٣ ص ١٣٧ ومابعدها .

(٣) صوفيات ـ تأليف الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل ـ ص ٥٥ ـ ط القاهرة .

وأن الشيخ الشناوى كان يذهب إليه فى قبره ويستشيره [١] . . بل إن بعض الأولياء أحيا الموتى وأعاد إليهم الحركة [٢] . . وكان بعضهم يتحدث إلى الحيوان والنبات بلغة فصيحة .

وقد ذكر محيى الدين بن عربى عن شيخه أبى مدين : أن بعض الفقراء من الصوفية رأى الله تعالى فى المنام وهو يقول لأبى مدين : مادة سرك بسنا نورى ، وقلبك موضع عظمتى وجبروتى [٣] .

ويقول أبو الحسن الشاذلى : قيل لى يا على اهبط . فقلت : يارَبِّ أَقِلْنِى من الناس . فقيل : انزل ، فقد أصحبناك السلامة [٤] .

وقد ذكر الإمام الغزالى « أن التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال على الله بكنه الهمة ، يزيل عن عين القلب كل حجاب ، ويفتح من دون البصيرة كل باب ، وهناك يشهد العبد الرب شهودًا عينيًّا ، ويحيط بذاته إحاطة كاملة » [٥] .

وفى ذلك يقول الشيخ أبو العباس المرسى : كنت مع الشيخ

---

(١) السيد أحمد البدوى شيخ وطريقة - تأليف الدكتور سعيد عاشور - ص ١٦٤ - القاهرة ١٣٨٧هـ .

(٢) الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية - تأليف الشيخ عبد الرءوف المناوى - ص ١١ ط القاهرة - ١٩٣٨ م .

(٣) الكتاب التذكارى لـ « محيى الدين بن عربى » ص ١٤٦ ط القاهرة - سنة ١٣٨٩هـ .

(٤) أبو الحسن الشاذلى - تأليف الإمام الأكبر عبد الحليم محمود - ص ٣٥ ط القاهرة - ١٣٨٧هـ .

(٥) الحياة الروحية فى الإسلام - تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمى - ص ١٢٨ القاهرة - ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥ م .

أبى الحسن الشاذلى بالقيروان ، وكان شهر رمضان ، وكانت ليلة الجمعة، وكانت ليلة السابع والعشرين ، فذهبت إلى الجامع مع الشيخ أبى الحسن ، فلما دخل الجامع وأَحْـرَمَ [1] رأيت الأولياء يتساقطون عليه تساقُطَ الذباب على العسل ، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ : « ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ، ورأيتُ رسولَ الله «ﷺ» يقول : يا عَلِيُّ ، طَـهِّـرْ ثيابَكَ من الدَّنَسِ ، تَـحْظَ بمددِ اللهِ فى كل نَفَسٍ » .

كما حكى عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه ، فروى ذلك الفقيه حديثاً ، فقال الولى : هذا باطل . فقال الفقيه : ومن أين لك هذا ؟ فقال : هذا النبىُّ « ﷺ » وَاقِفٌ على رَأْسِكَ يقول : إنى لم أَقُلْ هذا الحديث ، وكَشَفَ للفقيه ، فرآه [2] ! .

ويقول الإمام الغزالى فى « المنقذ من الضلال » :

« إننى لما فرغتُ من العلوم أقبلت بِهِمَّتِى على طريق الصوفية . . والـقَدْر الذى أَذْكُـره ليُنْتَفَع به أننى علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون بطريق الله خاصة ، وأن سِيَـرَهم وسيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الـطُّـرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جُمِعَ عَقْلُ العقلاء، وحِكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من

---

(١) يقال : أَحْـرَمَ بالـصَّـلاةِ ، أى : دَخَلَ فيها .

(٢) أبو الحسن الشاذلى ص ٧ .

العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم مُقْتَبَسَةٌ من نور مشكاة النبوة ، وليس من وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به ، حتى أنهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق »[1] .

* * *

---

(١) من كلا المحققين : أن رؤيته عليه السلام فى اليقظة ممكنة شرعاً وعقلاً ، ولا وجه لإنكاره .
وممن حقق الصواب فى هذا المقام « الجلال السيوطى » ، وألف فيه رسالة سماها « تنوير الحَلَك فى إمكان رؤية النبىِّ والمَلَك » ، أطال فيها بذكر الأدلة والوقائع التى وقعت لأكابر السلف من ذلك . . وقال فى آخرها : فحصل من مجموع ذلك أن النبى « ﷺ » حى بجسده وروحه ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض ، وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ، وأنه لم يتبدل منه شىء ، وأنه مُغَيَّبٌ عن الأبصار كما غُيِّبَتِ الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ، ولا داعى إلى التخصيص برؤيته المثال .
وقد سُئِلَ العَلاَّمة المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهَيْتَمى : هل يمكن رؤية النبى « ﷺ فى اليقظة ؟ فأجاب : أنكر ذلك جماعة وجَـوَّزَهُ آخرون ، وهو الحق . . واستدل على ذلك بحديث : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة » ، واحتمال إرادة ذلك بيوم القيامة بعيد . لأن أمته كلها ستراه يوم القيامة . وقد تقرر أن ماجاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامةً . .
انظر فى هذا الموضوع :
(أ) صحيح الإمام البخارى ج ٩ ص ٤٢ ـ طَبْعَةُ الشعب القاهرة .
(ب) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى ج ٢ ص ١٦٠ ـ طبعة وزارة الأوقاف الكويتية .
(جـ) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى وَمُسْلِمْ . تأليف الشيخ محمد حبيب الله ، ج ٣ ص ١٧٩ وما بعدها ـ مطبعة الحلبى ـ القاهرة .
(د) الحاوى للفتاوى . للسيوطى ـ ج ٢ ص ٤٣٧ ـ وكتاب الفتاوى الحديثية لابن حجر .

التقاء أهل التصوف مع أهل التشيع :

إن « أهل التصوف » يلتقون مع « أهل التشيع » فى مفاهيم كثيرة، ولم يقل أحد عن « المتصوفة » إنهم « كفرة » ، أو إنهم خارجون عن الدين والملة .

القرآن واحد عند الجميع :

إن الاتفاق أو الخلاف فى الأمور الفرعية ، أو فى أمور لا صِلَةَ لها بأصول العقيدة ، لا ينبغى أن يكون عائقًا أو مانعاً لوحدة الكلمة ، أو الوقوف صَفًّا واحدًا فى وجه أعداء الأمة . .

وإنه من غير المقبول أو المعقول أن يُقال : « إن للشيعة قرآناً « غير قرآن أهل السنة ، أو أن لديهم مصحفاً خاصًّا اسمه مصحف فاطمة ، فَـمُرَوِّجُو هذه الأكاذيب لا يستطيعون ـ لو أرادوا ـ الحصول على هذه المصاحف « المزعومة » من أية مكتبة ، وسيكتشفون ـ فى النهاية ـ أن ما قيل عن وجود مصحف خاص بالشيعة خرافة أو مُؤامَرَة! .

قصة « الرجعة » :

ومثل هذا الكلام يقال عن « الرجعة » . . و «الرجعة » تعنى إحياء الله لبعض الموتى وعودتهم إلى الحياة بالصورة التى كانوا عليها ، لينتصرَ بهم أهلُ الحقِّ على أهْلِ الباطل .

والشيعة ليسوا جميعا مِـمَّنْ يقولون بهذا الرأى ، أى أن هناك خلافًا بينهم حول حقيقة « الرَّجْعَة » ، مِمَّا يدل على أنها ليست من العقائد ، فلو كانت من العقائد لَمَا اختلف منهم أحد .

وما الذى يمنع من « الرجعة » إذا كان الله هو الفاعل ؟ !

إن الـذى خَلَـقَ« المـوتَ » هـو الـذى خَلَقَ « الحياة » ، وقُدرة الله لا تعجز عن فعل أى شىء وجودًا أو عدماً .

وقصة الرجل الذى مَـرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وقصة « أبوى النبى » ﷺ . . هناك من أهل السنة من يقول : إن الله أحياهما له بعد الموت ليؤمنا بولدهما المصطفى ! .

الإمام السيوطى ورسالته فى إحياء والدى الرسول :

وقد ألف الإمام الحافظ السيوطى فى ذلك رسالةً حَققها العلاَّمة

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٩ .

الشيخ حسنين محمد مخلوف ، مفتى الديار المصرية الأسبق [١] حيث قال :

واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين [٢] فى « الناسخ والمنسوخ »، والخطيب البغدادى فى « السابق واللاحق » ، والدار قطنى وابن عساكر كلاهما فى « غرائب مالك » ـ بسند ضعيف ـ عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : « حج بنا رسول الله «ﷺ » حَجَّة الوداع ، فمر بى على عَقَبَةِ الـحَجُون وهو باكٍ حزين مُغْتَم ، فنزل فمكث بعيدًا، (تعنى : طويلاً) ثم عادَ إلَىَّ وهو فَـرِحٌ مُبتسم ، فقلتُ : بأبى أنتَ وأُمى يا رسول الله . . نَزَلْتَ من عندى وأنتَ باكٍ حزين مغتم ، فبكيتُ لبكائك ، ثم إنك عُدْت إلَىَّ وأنت فَـرِحٌ مبتسم ، فَمِمَّ ذاكَ يارسول الله [٣]؟ فقال : ذهبتُ لقَـبْـرِ أُمى فسألتُ اللهَ أن يُحْيِيها ، فأحياها فآمنَتْ بى ورَدَّهَا الله» .

وهذا الحديث ضعيف باتفاق الـمُحَدِّثين ، بل قيل إنَّهُ موضوع ، لكنَّ الصوابَ ضعفه لا وضعه ، وقد ألفتُ فى بيان ذلك جزءًا مفردًا .

---

(١) رسائل الإمام السيوطى فى تحقيق « نجاة أبوى المصطفى ﷺ » تحقيق العلاّمة حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق مطبعة المدنى ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، القاهرة .

(٢) هو أبو حفص عمر بن شاهين البغدادى الواعظ المتوفى سنة خمس وثمانين وثلثمائة ٣٨٥ هـ ـ رحمة الله عليه .

(٣) هنا زيادة من شرح المواهب للزرقانى يقتضيها المقام .

وأورده السُّهَيلى في « الروض الأَنِف » بسنده قال : « عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ سأَلَ ربه أن يُـحْيىَ أبويه ، فأحياهما له ، فآمَنَا به ثم أماتهما » ، وقال السهيلى بعد إيراده : إن فيه مجهولين وقال : « إن الله قادر على كل شىء ، وليس تَعْجَـزُ رحمته وقدرته عن شىء ، ونبيه صلى الله عليه وآلِه وسَلَّم أَهْلٌ أن يُخْتَصَّ بما شاء من فَضْلِهِ ، ويُنعم عليه بما شاء من كرامته » .

وقال القرطبى : لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهى عن الاستغفار ، فإن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما ، بدليل حديث عائشة رضى الله عنها . أن ذلك كان فى حجة الوداع ، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذُكر من الأخبار . وقال العلاَّمة ناصر الدين بن المنير المالكى فى كتاب « المقتفى فى شرف المصطفى » : « وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إحياء الموتى ، نظير ما وقع لعيسى ابن مريم ... إلى أن قال : وجاء فى حديثٍ أن النبى صَلَّى الله عليه وآله وسلم لما مُنِعَ من الاستغفار للكفَّار ، دَعَا الله أن يُحْيِيَ له أبويه ، فأحياهما ، فآمنا ، وماتا مُـؤْمِنَيْنِ » .

وقال القرطبى : « فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم تَزل تتوالَى وتتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مِمَّا فَضَّله الله به وأكرمه ... وليس إحياؤهما وإيمانهما بالممتنع عقلاً ولا شرعًا ، وقد ورد فى القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل ، والإخْبار بقاتله . وكان عيسى عليه السلام يُحيى

الـمَوْتَى ، وكذلك نبينا صَلَّى الله عليه وسلم ، أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ... وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته ؟ » .

بل إن أحد شيوخ الصوفية الكبار ـ وهو الشيخ « عبد الرءوف المناوى» ـ يقول عن كرامات الأولياء وأنواعها :

« **النوع الأول** : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد البسرى غَزَا ومعه دابة فماتت ، فسأل الله أن يُحييها ، فقامت تنفض أُذُنيها . . !

وأن مُفَـرِّجاً الدَّمامِينى أُحْضِـرَ له فراخ مشوية ، فقال : طِيرِى بإذن الله تعالى ، فطارت ! .

ووضع الكيلانى يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها : قُومى بإذْنِ الله ، فقامت » ! .

ومات لتلميذ أبى يوسف الدهمانى ولد ، فجزع عليه ، فقال له [1] الشيخ قُمْ بإذن الله . فقام وعَاشَ طويلا .

وسقط من سَـطْـح الفارقى طِفْلٌ فمات فدعا الله فأحياه [2] .

---

(١) نقلا عن كتاب « صوفيات » للشيخ عبد الرحمٰن الوكيل ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م .
(٢) من كتاب الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية لعبد الرءوف المناوى ، ص ١١ ـ ط سنة ١٩٣٨م .

المهدى المنتظر :

إن ما يقوله (الشيعة) عن كراماته يقوله (السنة) أيضاً . . الفرق بين (الشيعة والسنة) هو حول شخصية (المهدى) فقط . فبينما لا يحدد أهل (السنة)شخصًا معيناً فإن (المهدى) عند (الشيعة) معروف اسماً، كما هو معروف نسبًا وأصلاً !

وهو « محمد بن الحسن العسكرى » المختفى فى سِـرْداب إلى أن يحين وقت ظهوره علينا !

الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة الإمامية :

فالأئمة عند (الشيعة) اثنا عشر إماماً :

أولهم : الإمام علىّ (رضى الله عنه) .
والثانى : الحسن بن على .
والثالث : الحسين بن على سيد الشهداء .
والرابع : على زين العابدين بن الحسين
والخامس : أبو جعفر محمد بن على الباقر .
والسادس : الإمام جعفر الصادق .
والسابع : موسى بن جعفر الكاظم .
والثامن : أبو الحسن على بن موسى « الرضا » .
والتاسع : أبو جعفر محمد بن على « الجواد » .
والعاشر : أبو الحسن على بن محمد « الهادى »

والحادى عشر : أبو القاسم محمد بن الحسن « العسكرى » .
والثانى عشر : وهو المهدى المنتظر عند (الشيعة)[1] .

يقول النبى (ﷺ) فى حديث طويل رواه ابن ماجه[2] :

« إنَّا أهلُ بيتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتى سيلقون بعدى بلاءً وتشريدًا وتطريدًا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فَيُقَاتِلُون فَيُنْصَرُونَ فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا كما ملئوها جورًا ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم حَبْوًا[3] على الثلج » .

وروى ابن ماجة أيضاً[4] أن رسول الله ﷺ قال :

« يكون فى أُمتى (المهدى) ، إن قصر[5] فَسَبْعٌ وإلا فتسع ، فتنعم فيه أمتى نعمة لم ينعموا بمثلها قط ، تؤتى أكلها ولم تَدَّخِر منهم شيئاً . والمال يومئذ كَدَوْسٍ[6] ، فيقوم الرجل فيقول : يا مهدى أعطنى ، فيقول : خُذْ » .

---

(١) نقلا عن كتاب « عقائد الإمامية » محمد رضا المظفر ص ٧٩ ـ ٨٠ الطبعة الثامنة ـ المطبعة العالمية ـ القاهرة شارع ضريح سعد ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(٢) جـ ٢ حديث . رقم ٤١٨٢ .

(٣) الحبو : أن يمشى الإنسان على يديه وَرُكْبتيه ، وذلك من أصعب الأشياء ، خاصة على الثلج . . وهذا الحديث إسناده ضعيف ، لكن . رواه الحاكم فى المستدرك من طريق آخر .

(٤) الحديث رقم ٤٠٨٣ ـ جـ ٢ ـ وإسناده حَسَن .

(٥) قصر : أى مدة بقائه أو حكمه .

(٦) دوْس : قبيلة كثيرة العدد .

وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أن رسول الله ﷺ قال :

لو لم يَبْقَ من الدنيا إلاَّ يوم ، لَبَعَثَ الله عز وجل رجلاً منَّا يملؤها عدلاً كما مُلئت جورًا » (١) .

وقال أيضًا (٢) :

« المهدى مِنَّا - أَهْل البيت - يصلحه الله فى ليلة » (٣) .

وجاء فى سنن أبى داود ، أن رسول الله ﷺ قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لَطَوَّلَ اللهُ ذلك اليوم حتى يَبْعَثَ رجلاً مِنِّى - أو من أهل بيتى - يُوَاطِئُ (٤) اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجورًا » (٥) .

وفيه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال :

« المهدى من عِتْـرَتِى مِنْ وَلَدِ فاطمة » (٦) وجاء فى سنن الترمذى أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « إنَّ فى أمتى المهدى ، يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا . . قال (أى الراوى) :

---

(١) مسند الإمام أحمد ، جـ ٢ - ط . دار المعارف - حديث رقم ٧٧٣ ، وإسناده صحيح .
(٢) المصدر السابق - حديث رقم ٦٤٥ ، وإسناده صحيح .
(٣) يصلحه : يوفقه ويتوب عليه بعد أن لـم يكن كذلك .
(٤) يواطىء : يوافقه .
(٥) سنن أبى داود جـ ٤ - الحديث رقم ٤٢٨٢ - ط . السعادة - ١٣٧٠ هـ - حديث حسن صحيح .
(٦) سنن أبى داود - جـ ٤ - الحديث ٢٢٨٤ .

قلنا : وماذاك ؟ قال : سنين . قال فيجيء إليه رجل فيقول : (يا مهدى أعطنى أعطنى) . قال : فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله »[1] .

هذه الأحاديث كلها فى كُتب الأئمة الـمُـحَدِّثين من أَهْلِ السنة ، فليس صحيحاً ما يقوله أحمد أمين : « أنها نَبَعَتْ من الشيعة » .

وإذا كان فى بعضها ضعف من ناحية ، فإن بعضها صحيح - بشرط الشيخين - من ناحية أخرى[2].

العبادات الإسلامية

عند السنة وعند الشيعة :

أما عن « العبادات » فلا يكاد يوجد خلاف بين « الشيعة الإمامية » وبين « أهل السنة » ، ففى كتاب « المختصر النافع » الذى أصدرته وزارة الأوقاف المصرية فى عهد المرحوم الشيخ أحمد حسن الباقورى - وهذا الكتاب من كتب الفقه عند الشيعة - وهو على إيجازه ، يتحدث عن العبادات ، وعليها تقوم الصلة بين العبد وربه ، وعن المعاملات ، وعليها تقوم صلة الإنسان بالإنسان . فهو يحدثنا عن الطهارة المائية

---

(١) سنن الترمذى - جـ ٤ - الحديث ٢٢٣٢ . ط . الحلبى ١٣٨٢ هـ - حديث حسن .

(٢) انظر فى هذا الموضوع كتاب « المستدرك على الصحيحين » للحاكم أبى عبد الله النيسابورى - نسخة مصورة من الطبعة الهندية ص ٤٦٤ .

والترابية ، وعن الوضوء والاغْتِسَال ، وعن النية والقربة ، وعن المسح على القدمين المأخوذ من قراءة ثابتة معتد بها عند الجميع ، وعن منع مس المصحف لمن ليس على طهارة ، ولا يغفل حتى آداب الخلوة ، ومنها حُرمة استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة ولو فى الأبنية .

ثم هو يجعل للطهارة قداسة ، ويحتاط فيها أشد الاحتياط ، لأنها مقدمة لعبادة أهم ، هى الصلاة .

وأما فى الصلاة فنرى كثيرًا جدًّا من وجوه الوفاق مع بقية المذاهب : فلا صلاة إلاَّ بتكبيرة الإحرام ، ولا صلاة إلاَّ بفاتحة الكتاب ، ولا خلاف فى عدد الفرائض ولا فى الركعات والسجدات ، وهم يولون وجوههم شطر المسجد الحرام ، ويشترطون القراءة بالعربية ، ولا يجيزون الترجمة ، ومن لا يعرف العربية فعليه أن يتعلم ما يؤدى به الصلاة ، وهم لا يجيزون ترك الصَّلاَةِ بحال ، حتى أن الموحل والغريق يوميان ويصليان ، فإن وجد خِلاَفٌ ففى مثل أنهم يشترطون بعد الحمد سورة كاملة ، ولا يجتزئون ببعض السورة ، ويشترطون الجهر بالبسملة ، وإرسال اليدين ، والعدالة فى الإمام ، والخروج من الصلاة بالتسليم ، وتلك خلافات لا تزيد عَمَّا بين المذاهب الأخرى بعضها وبعض . وأما القِبْلَة فهى الكعبة مع الإمكان ، وإلا فجهتها ، وإنْ بَعُدَ المصلى .

وفى الصوم يذكر المؤلف [١] أنه يبدأ بالرؤية وينتهى بالرؤية [٢] ، ويعدد المفطرات ، ولكن الذى يلفت النظر أن الإمامية يرون أن الكذب على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - مُفْطِرٌ ، يجب فيه القضاء والكَفَّارة . . فإن وجد بعد ذلك خلاف فلا يعدو أن يكون مثل اشتراطهم التثبت من العدالة فى شُهُودِ الرؤية ، أو اشتراطهم زوال الـحُمْـرَة المشرقية للإفطار لا مجرد مغيب الشمس ، أى أنهم يتأخرون بعض الوقت بالإفطار .

أما النوافل فى رمضان فتجد من الإمامية اهتماماً كبيراً ، وهم يطبقون فيها الحديث الصحيح : « أفضل الصلاة : صلاة الرجل فى بيته إلا المكتوبة » .

وأما الحج فيأخذ فى كتب الفقه عندهم حيزًا أكبر مما يأخذه غيره ، نظرًا للدقة فى تحديد شعائره ، وهو عندهم من أعظم دعائم الإسلام ، ويعتبرونه جهادًا بالمال والبدن ، ويرون تاركه على حَدِّ الكفر بالله ، وإذا مات المُكَلَّفُ بدون أن يحج اعتبر الحج دَيْنًا ويُحَجُّ عنه ، وبلغ من ثبوت هذا الحق أنه يُؤَدَّى بغير إذن ، فيما لو حصل بيد إنسان مال لميت عليه الحج ، وعلم أن الورثة لا يؤدون ، فإنه يجوز له أن يقتطع قَدْرَ أجرة الـحَجِّ ويبذلها لمن يحج عنه ، لأن هذا دَيْنُ الله ، وهو خارج عن ملك

(١) مؤلف كتاب « المختصر النافع » .

(٢) أى : رؤية الهلال .

الورثة، والديون تُقْضَى قبل التوريث ، ودين الله أحق بالقضاء . ودرجة الوفاق فى الأركان والمناسك والشعائر بين هذا الفقه وغيره كبيرة إلى حد يجعل الحج أعظم مظهر لوحدة المسلمين ، ولعل هذا بركات بيت الله العتيق .

أما الاعتكاف ، والزكاة ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فقد أُفرد لكل منها كتاب خاص .

هذا شأن الإمامية فى علاقتهم بربهم : يعبدونه لا يشركون به شيئاً، ويحتاطون لعبادتهم أعظم احتياط . . فما هو شأنهم مع الناس ؟ .

إن أبواب المعاملات فى فقه الإمامية تحدد كل جانب ، وتلتزم بالكتاب والسنة والقواعد المستقاة منها ، فهم يكثرون من الشروط التى تربط معاملاتهم بالروح الإسلامى ، ويستحبون البدء بالبسملة فى كل معاملة ، ويشترطون الصيغة العربية فى العقود ، ويكرهون التعامل مع تارك الصلاة والمستهتر ، ويحرمون الاتجار بالمحرمات وما يترتب عليه فساد فى المجتمع [1]! .

خلاف حول الزواج المؤقت ..

أولا « نكاح المتعة » :

هناك خلاف بين « الشيعة » و « السنة » حول الزواج « المؤقت »

---

(١) المصدر السابق .

المعروف باسم « زواج المتعة » ، وهل هذا الزواج حرام أم حلال ؟ فبينما يقرر أهل « السنة » أن هذا الزواج «حرام » بعد إباحته أولا فى الحروب والغزوات ، يرى « أهل الشيعة « أنه لم « يُـحَـرَّمْ » ، وأنه لا يزال مباحاً حتى هذا اليوم .

وقد اخترنا فى بيان حكم هذا الزواج عند ـ أهل السنة ـ ما كتبه الإمام الأكبر المرحوم الشيخ «محمود شلتوت » ، وهو رجل معروف باجتهاده ، كما أنه معروف بفتواه التى أنصف بها مذهب الشيعة ، واعتبر مذهبهم من المذاهب الإسلامية المعتمدة .

يقول الإمام الأكبر الشيخ « محمود شلتوت » فى كتابه «الفتاوى»[1] تحت عنوان « أساس الزواج فى القرآن » .

فالقرآن يرشد إلى أن أساس الزواج الـسَّكَن والـمَوَدَّة والرحمة المتبادلة بين الزوجين ، وإلى أن ثمراته تكوين الأُسَر ، وتحصيل الأبناء والأحفاد ، والتعاون على تربيتهم . . وما أبعد زواج المتعة عن هذا الأساس وهذه الثمرات .

والقرآن قد ربط بعنوان الزوجية أحكامًا كثيرة ، كالتوارث ، وثبوت النسب ، والنفقة ، والطلاق، والعِدَّة ، والإيلاء ، والـظِّهار ، واللِّعان، وحُرمة التزوج بالخامسة ، وغير ذلك ممَّا يعرفه الناس جميعاً ، وليس شىء من هذه الأحكام بثابت فيما يُعرف بزَوَاج المتعة .

---

(١) دار الشروق ـ ص ٢٧٣ .

والقرآن قد عرض للزواج بلفظه تارة، وبلفظ النكاح أخرى فى آيات كثيرة ، ولا يفهم منها ناطق بالضاد سِوَى الزواج الذى جعل أساسه الدوام ، وتكوين الأسر ، وربطت به تلك الأحكام التى أشرنا إليها ، واقرأ فى ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾[1] . ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾[4] . وقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[5].

اقرأ هذه الآيات وأمثالها لتعلم أنها ـ على رغم ما يحاول المفتونون بمشروعية زواج المتعة من تحريفها عن مواضعها ـ بعيدة كل البعد عن زواجهم الذى يعلنون أنه مشروع لغاية فى نفوسهم ، أو تعصباً لآراء لاتعرفها حجة . . نعم ثبت أن النبى ﷺ أباحَهُ للمحاربين فى بعض

---

(١) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٣٢ من سورة النور .

(٥) من الآية ٢١ من سورة النساء .

الغزوات ، وثبت أيضاً بما لا شك فيه أنه نهى عنه نهياً عامًّا ، وحَـرَّمَهُ تحريماً مؤبدًا . وقد جمع مسلم فى صحيحه ، والحافظ ابن حَجَر فى شرح البخارى أحاديثَ النهى ، فليرجع إليها من شاء .

وما كان نهى عمر عنه ـ وتوعده فاعله أمام جَمْعٍ من الصحابة ، وإقرارهم إياه ـ إلاَّ عملاً بهذه الأحاديث الصحيحة ، واقتلاعاً لفكرة مشروعيته عند بعض الذين يقولون بحِلِّه ! .

فالمسألة إذن ليست خلافاً حول « أصل المشروعية » لهذا الزواج ، فالسنة والشيعة يعترفون معًا أن هذا الزواج كان جائزًا فى أول الأمر ، ثم يختلف الفريقان بعد ذلك حول استمرار « إباحته » حتى هذا اليوم ، فبينما ترى الشيعة الإمامية أن الحكم بإباحته لا يزال قائماً حتى هذا اليوم، فإن أئمة السنة متفقون على أنه نُسِخَ ، وأن مثل هذا الزواج باطلٌ ومُـحَـرَّم [1] ، وذلك لما يلى :

أولاً : أن هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام الواردة فى القرآن بصدد الزواج ، والطلاق ، والعدة ، والميراث ، فيكون باطلاً كغيره من الأنكحة الباطلة .

ثانياً : أن الأحاديث جاءت مصرحة بتحريمه .

فعن سَـبْـرَةَ الـجُهَنِى : أنه غَزَا مع النبى ﷺ فى فَتْح مكة ، فأَذِنَ لهم

(١) فقه السنة ـ الشيخ السسيد سابق ـ جـ ٢ ص ٣٥ ـ ٣٧ .

رسولُ الله ﷺ فى مُتْعَةِ النساء . قال : فلم يخرج منها حتى حَـرَّمَهَا رسولُ الله ﷺفى مُتْعَةِ النساء .

قال : فلم يخرج منها حتى حَـرَّمَهَا رسولُ الله ﷺ .

وفى لفظ رواه ابن ماجه : أن رسول الله ﷺ حرم المتعة ، فقال :

« يا أيها الناس ، إنِّى كنت أَذِنْتُ لكم فى الاستمتاع ، ألا وإنَّ الله قد حرمها [1] إلى يوم القيامة » .

وعن علىٍّ رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن مُتعة النساء يوم خيبر ، وعن لُحوم الـحُمُر الأهلية [2] .

ثالثاً : أن عمر رضى الله عنه حرمها وهو على المنبر أيام خلافته ، وأقره الصحابة - رضى الله عنهم - وما كانوا ليقروه على خطأ لو كان مُـخْطِئاً .

رابعاً : قال الخطابى : تحريم المتعة كالإجماع إلاَّ عند بعض الشيعة . ونقل البيهقى عن جعفر بن محمد أنه سُئل عن المتعة فقال : هى الـزِّنَى بعينه .

خامسا : ولأنه يقصد به قضاء الشهوة ، ولا يقصد به التناسل ،

---

(١) يعنى : المتعة .

(٢) الصحيح أن المتعة إنما حُرمت عام الفتح ، لأنه قد ثبت فى صحيح مسلم أنهم استمتعوا عام الفتح مع النبى ﷺ باذنه . ولو كان التحريم زمن خيبر للزم النسخ مرتين .

ولاالمحافظة على الأولاد ، وهى المقاصد الأصلية للزواج ، فهو يشبه الـزِّنَى من حيث قصد الاستمتاع دون غيره .

ثم هو يضر بالمرأة ، إذ تصبح كالسلعة التى تنتقل من يد إلى يد ، كما يضر بالأولاد ، حيث لا يجدون البيت الذى يستقرون فيه ، ويتعهدهم بالتربية والتأديب .

وقد روى عن بعض الصحابة وبعض التابعين أن زواج المتعة حلال، واشتهر ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

وأما ابن عباس فإنه سلك هذا المسلك فى إباحتها عند الحاجة والضرورة ، ولم يبحها مطلقًا ، فلما بلغه إكثار الناس منها رَجعَ . وكان يحمل التحريم على من لم يحتج إليها .

قال الخطابى : إن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : أَتَدْرِى ما صَنَعْتَ وبِمَ أفتيت ؟ . . قد سارت بفتياك الركبان ، وقالت فيه الشعراء .

قال : وما قالوا ؟ .

قلت : قالوا :

قـد قلتُ للشيخِ لمـا طـال محبسه ياصاح هل لك فى فتيا ابن عباس ؟

هل لك فى رخصة الأطراف آنسـة تكـون مثواك حتى رجعـة الناس ؟

فقال ابن عباس :

« إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . . ! والله ما بهذا أفتيت ، ولا هذا أردت ، ولا أحللت إلاَّ مثل ما أحَلَّ اللهُ الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما تحل إلاَّ للمضطر ، وما هى إلاَّ كا لميتة والدم ولحم الخنزير . . !! » .

ويرد الشيعة على ذلك فيقولون :

أولاً : إن الكتاب ـ أى القرآن الكريم ـ لا يُنْسَخ بأخبار الآحاد .

ثانياً : تعارض ذلك بأخبار كثيرة وصريحة فى عدم نسخها .

ثالثاً : فى صحيح البخارى : حدثنا أبو رجاء ، عن عمران بن حُصَيْن رضى الله عنه ، قال :

نزلَتْ آيةُ « المتعة » فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن بِحُرمتها ، ولم يَنْهَ عنها رسول الله حتى مات . قال رَجُلٌ برأيه ما شاء محمد ، يقال إنه عمر .

وفى صحيح مسلم قال : « قَدِمَ جابر بن عبد الله الأنصارى معتمرًا فجئناه فى منزله ، فسأله القوم عن أشياء ، ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ ، وعلى عهد أبى بكر ، وعمر» .

* * *

وكما قلت سابقاً : إن الخلاف ليس حول مَشْرُوعيَّة هذا الزواج فى أول الأمر ، فقد كان مباحاً ، ولكن الخلاف حول تحريمه بعد هذه

«الإباحة » ، « فالسنة » يؤكدون هذا التحريم ، وأنَّ مثل هذا الزواج يُعَدُّ « زِنىً » ، فى حين يرى الشيعة أنه لم يُـحَـرَّمْ ، وأَنَّ حكم إباحته لايزال قائماً ! .

وهذا الزواج ـ أى زواج « المتعة » ـ يتنزه عنه الأَشراف وأهل المروءة ، كما قال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء . .

وإنْ كان هذا التنزه لا يعنى حُرمة هذا الزواج عند « الشيعة الإمامية » [1] . . وَاسْتَفْتِ قلبكَ وإنْ أَفْتوك وأفتوك !! .

رأى الشيخ « أبى زهرة » فى هذه الخلافات :

إن اختلاف الآراء فى الفروع لا يدل على انحراف الدين [2] ، مادام لم يخرج عن المقررات الشرعية الـمُجْمَعِ عليها من السابقين ، ومن جاء بعدهم ، بل إن الاختلاف مادام أساسه طلب الحق يفتح للناس باب التوسعة على الناس فيما يختارون ، ويفتح للعقول الطريق للاختيار الصحيح ، فإنه من وسط اختلاف الآراء وتَعَـرُّفِ أَوْجُهِ النظر فيها ينبلج نور الحق ساطعاً بيناً واضحاً .

ولقد كان كل إمام من أئمة الاجتهاد حريصًا على أن يعرف أقوال المختلفين ، وكان الإمام أبو حنيفة يقول :

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ـ ص ١٦٨ المطبعة العربية ـ القاهرة .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ـ محمد أبو زهرة ـ ص ٥٦ جـ ٢ .

«أَعْلَمُ الناس هو أعلمهم باختلاف الناس ، فإنَّ العِلْمَ بأقوال العلماء فى قضية تتنازعها الأنظار يكشف الحق لمن يكون قادرًا على النظر وفحص أساليب الاستدلال ومناحيه، وتعرُّف ضعيف الدليل وقويه ، وهو نظر للأمر من كل وجوهه ، ومن ينظر للأمر من كل وجوهه يكون أقدر على الحكم فيه بالصواب أو الخطأ » .

وكان الإمام الشافعى يقول :

« رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب ، وللمجتهد إذا أصاب أجران ، وحتى إذا أخطأ فله أجره » .

ومما يدل على يقظة بعض العلماء الموفقين ، أن أبا إسحاق الشاطبى ـ المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ـ نَبَّه لهذا الخطر ، وحَذَّرَ منه فى كتابه (الموافقات) فقال : « إن تعويد الطالب على ألاَّ يَطَّلِعَ إلاَّ على مذهب واحد ربما يكسبه ذلك نفورًا وإنكارًا لكل مذهب غير مذهبه ما دام لم يطلع على أدلته ، فيورثه ذلك حزازة فى الاعتقاد فى فضل أئمةٍأَجْمَعَ الناسُ على فضلهم وتقدمهم فى الدين ، وخبرتهم بمقاصد الشارع وفهم أغراضه » .

الدعـوة إلـى التقـريب

بين المذاهب الإسلامية :

ترى ماذا بقى فى خيال وأوهام مُـرَوِّجِى أسلحة الدمار الفكرى بين المسلمين ؟ .

لنختلف . . ولكن فى دائرة الإسلام التى تتسع للاختلاف والاجتهاد لمصلحة الأمة ، أما أن يتحول هذا الخلاف إلى حرب ، وأن نتحول إلى قبائل يحارب بعضها البعض ، فذلك ليس من الدين ، كما أنه يفتح الباب واسعاً أمام المتآمرين وأعداء المسلمين .

إننا نقبل الخلاف الفكرى مادام فى دائرة معقولة ، ونرحب بالخلاف المذهبى [1] ، لأنه وليد آراء اجتهادية مرجعها الكتاب والسنة ، أو ما أعطاه الكتاب أو السنة قوة الحجية . نرحب بها عند الشيعة وأهل السنة ، لأنهما يؤمنان بما يجب على المسلم أن يؤمن به ، وإن اختلفا فى مسائل فقهية ، وتميَّزَا فى مسألة الولاية والخلافة .

نحن نرحب بهذه الخلافات كلها ، نعتز ـ كمسلمين ـ بالكثير منها ، لأنها إنْ دلت على شىء فإنما تدل على الحرية الفكرية ، ولأنها ـ إنْ أُحسن النظر إليها ـ تسعد الأمة ، وتكفل رقيها ، وتبقى على سلامتها .

إن هذه الخلافات فى جوهرها تُنْبِىءُ عن معنى الوفاق ، فهى ترتبط بأصلٍ واحد ، هو الكتاب والسنة .

وليس معنى هذا أن فى الكتاب خلافًا ، فالمسلمون بحمد الله متفقون فى كتابهم ، مجمعون على ما بين الدفتين ، وهذا فخر ليس فوقه فخر ، تنفرد به هذه الأمة دون غيرها من سائر الشعوب .

---

(١) دعوة التقريب ـ العلامة القُمِّى ـ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وزارة الأوقاف ـ القاهرة .

وكذلك ليس معناه أن فى السنة خلافاً ، بمعنى أن البعض يقبل ماصدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والبعض لا يقبله ، مَعاذ الله ، فالمسلمون يتفقون فى وجوب الأخذ بسُنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنهم قد يختلفون فى الفهم أو التفسير ، أو فى أن هذا صدر عن الرسول الأعظم أو لم يصدر ، أمَّا من لا يأخذ بما أمر به الرسول فليس بمسلم . فالآراء الاجتهادية إذن يجمعها الكتاب والسنة ، وليس بعد هذا من وفاق .

على أن « الاجتهاد » نفسه مقيد بشروط ، منها : أنه لا يقوم إلاَّ على الكتاب والسنة ، والأصول المستوحاة منهما أو من أحدهما ، وأنه لا يُباح إلاَّ لمن استوفى شروط العدالة ، وأنه لا يكون إلاَّ فيما يجوز الاجتهاد فيه ، فإذا حاولنا أن نحمله وزر بعض الأخطاء التاريخية ، أخطأنا فهم معناه ، وإذا أجزناه فى غير محله ، جانبنا الصواب ، فحيث يكون ظالم ومظلوم مثلاً لا يجوز أن يبرر الظلم بإعطائه اسم الاجتهاد ، وإلاَّ كان للظالم أجر على ظلمه ، كما للمجتهد أجر على اجتهاده ، وفى هذا مغالطة وانحراف .

وليس يجوز الجدال فى قيمة الاجتهاد مهما يكن من تعدد الآراء بين المجتهدين ، فهذا مما يشرف التشريع الإسلامى ويجعله صالحاً لعلاج مايجد وما يحدث فى كل زمان ومكان .

أمَّا كيف تنشأ الخلافات بين مذهب ومذهب ـ سنى وسنى ، أو

سنى وشيعى ـ فإن ذلك يرجع تارة إلى تفسير آية أو فهم معنى منها ، أو فهم رواية على معنى يفهم الغير منها سواه ، أو أن هناك ما يثبت صدوره عن الرسول الكريم عند فريق ولم يثبت عند فريق آخر ، ولا يختلف الجميع على أن ما جاء به الكتاب وما جاء به النبى ، فَاصِلٌ لا رَادَّ له .

أَمَّا الخلاف الذى لا نرحب به ولا نقبله ، بل نرفضه ونقاومه ، فهو الخلاف الذى تُمليه الكراهية والبغضاء ، وتُغَذِّيه الشُّبَه والأوهام ، ويُوجِد البلبلة فى صفوف الأمة ، ويؤدى إلى تفريق كلمة المسلمين .

ذلك خلاف لا يتفق والـخُلُق الإسلامى ، ولا يستند إلى المعارف الإسلامية ، حَمَلَ لواءه مؤلفون كتبوا قبل التثبت تارة ، وبداعى الغرض والهوى تارات ، فَسَوَّدُوا صحيفة الشيعة فى نظر أهل السنة ، وسودوا صحيفة أهل السنة فى نظر المتشيعين ، بعضهم خَلَطَ بين أهل السنة والنواصب ، وأكثرهم خلطوا بين الشيعة والغُلاة ، وبينها وبين الفرق البائدة ، وألصقوا بها آراء لا تمتُّ إليها بصلة ، بل الشيعة منها براء .

وكم من كُتب وُضعت لتأجيج الخصومة بين طوائف المسلمين ، وكم من أقلام أَسَفَّتْ [1] فى التجريح خدمة لحكام طُغاة أقاموا عروشهم على أساس الخصومة بين المسلمين ، وكان لهذه التآليف أسوأ الأثر فى تصدُّع وحدة الأمة ، فقد غرست البغضاء فى القلوب ، والظِّنَّةَ [2]

(١) أَسَفَّ فلان : طلبَ الدَّنِيءَ من الأُمُور .
(٢) الظِّنَّةُ : التُّهَمَة .

فى العقــول ، وأبعـدت طائفـة كـبيرة عـن إخوانهـم فى الديـن .

إن الظنون والخرافات تجتاح الجماهير من أهل السنة والشيعة ، والتخلف البعيد يقعد بهم جميعًا عن حق الله وحق الحياة . . والدنيا تنطلق بسرعة ، وتصعد فى سلم الارتقاء المادى المحض ، وتنظر شزرًا إلى الأجناس المختلفة وكأنها خَلْقٌ آخر . . وليس إلاَّ الإسلام علاجاً لهذا الشرود . . لكن أى إسلام ؟ . .

الإسلام الذى تآخَى فيه العارفون ، وأشرب روحه أتباع عقلاء مساميح .

إن الجهل والفراغ يهزان أصول الاعتقاد، وتنشأ فى ظلمها أجيال تافهة عابثة . فهل ندع الحريق يجتاح بيضتنا [1] وننشغل عنه بالتلاوم والتكاذب؟ .

إنَّ الأمر أجَلُّ مِمَّا يتوهم قصار النظر ، ورأيى أن الطريق لا تزال محفوفة بالمخاطر ، ومملوءة بالمطبَّات والـحُفَر . . لكننا عرفناها ، وبدأ المسير ، ومن سَارَ على الدَّرْب وَصَل .

---

(١) البيضة : الحِمَى .

الفصل الثالث

الحوار المفقود بين الأشقاء

« لنفهم جيدًا
أن الوحدة الإسلامية
هى الخطر الأكبر . .
فليكن على رأس اهتماماتنا
تفتيت هذه الوحدة . .
وإثارة الفتن والقلاقل
بين الشيعة والسنة ... ! »

« زويمر »

الخلافات بين الدول يجب أن تبقى بعيدًا عن الدين :

فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ـ غفر الله لنا وله ـ كان الخلاف بين مصر و إيران قد بلغ أَشُدَّهُ ، وزاد من حِدَّةِ الخلاف فى ذلك الوقت أن « إيران ـ الشاه » وقفت إلى جانب « إسرائيل » فى معركتها ضد المسلمين والعرب بقوة !! . . وبالرغم من هذا كله بقى الخلاف «محصورًا » فى دائرة السياسة والحكم ، ولم يتطرق الخلاف قَطُّ إلى العقيدة ، التى بقيت « حرماً مقدساً » لا يُسَاء إليه ولا يُمَس . . ! .

الدعوة إلى التقريب بين الشيعة والسنة :

إن الإمام الخومينى نفسه اعترف أن مصر ـ بقيادة عبد الناصر ـ كانت تقف بجواره فى معارضته للشاه الجائر المستبد .

بل إن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى ذلك الوقت ـ والذى كان يمثل الواجهة الإسلامية لسياسة النظام والحكم ـ تولى الترويج للدعوة إلى التقريب بين الشيعة فى إيران والسنة فى مصر ، وأصدر فى ذلك كتاباً لا يزال مرجعاً لمن تهمه وحدة المسلمين فى الشرق والغرب [(١)] .

---

(١) دعوة التقريب ١٩٦٦ ـ وكتاب دعوة التقريب (حقائق ووثائق) ١٤١٢ هـ .

عَـزْل « وزير » أساء إلى الشيعة :

وفى عهد الرئيس السادات عادت العلاقات الطبيعيةمع (إيران الشاه) ، وحين أساء أحد الوزراء فى خطبة له من فوق منبر الأزهـر إلى الشيعة ، خرج هذا الوزير من الوزارة فى أول تعديل وزارى بعد أن أثار هذه الأزمة ، وبعد أن عرض العلاقات بين مصر و إيران لقطيعة . . ! .

وحين طُـرِدَ (الشاه) من إيران ـ بعد الثورة ـ استقبله الرئيس السادات فى مصر ، وعندما مات شُـيِّعَتْ جنازته عسكريًّا إلى القبر ، ودُفِنَ فى مسجد « الرفاعى » حيث دفن ملوك مصر ! .

فالخلافات السياسية يجب أن تبقى محصورة فى نطاقها السياسى ، فالسياسة أشبه ما تكون بالرمال المتحركة ، تدور مع ريح المصالح حيث دارت . . بل السياسة ـ كما يقول « كليمنصو » ـ أشبه ببندول ساعة الحائط ، تتحرك يمينًا ويسارًا حيث توجد هذه المصالح ، أو كما يقول رئيس وزراء بريطانيا الأسبق « ونستون تشرشل » : ليس لبريطانيا أعداء دائمون أبدًا ، كما ليس لها أصدقاء دائمون أبدًا ، بل لها مصالح دائمة تدور حولها السياسة وجودًا وعدمًا . . !

الإسلام دين « توحيد » ودين « وَحْدَ ة » :

و إذا كان الإسلام هو دين (التوحيد) فهو كذلك دين الوحدة :

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1] . .

---

(١)سورة الأنبياء آية ٩٢ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [1] .

وإذا كان الإسلام قد قضى على الوثنية والشِّرْك . . فهو كذلك قضى على الفُرْقَة والخلاف ، الوريثين الحقيقيين لهذه الوثنية وهذا الشرك .

وفى ذلك يقول النبى محمد ﷺ « لا تَرْجِعُوا بَعْدِى كفارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعض » .

ولم يبتل المسلمون قديمًا وحديثًا بمثل هذا التمزق ، والتعصب لمذهب على حساب مذهب ، حتى روى أن شافعيًّا سُئل عن حكم الطعام الذى وقعت فيه قطرة من النبيذ ؟ فقال الشافعى : يُرْمَى - أى الطعام - لكلب أو لحنفى . . !! .

كما سُئل رجل حنفى : هل يجوز للحنفى أن يتزوج المرأة الشافعية ؟ فقال « أى الحنفى » : إن ذلك لا يجوز ، لأنها تشك فى إيمانها . . !! .

وقال حنفى آخر : يجوز زواجها قياساً على زواج اليهودية والنصرانية . . !! .

ومن أسوأ صور هذا التعصب ما قاله الشيخ أبو الحسن عبد الله الكرخى الحنفى ، قال :

«كل آية أو حديث تخالف مذهبنا فهى إمَّا مؤولة أو منسوخة . . !! » [2] .

---

(١) سورة الروم آية ٣١-٣٢ .

(٢) مالا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين - العلاَّمة الشيخ عبد الجليل عيسى - دار القلم - القاهرة .

صُوَر كريهة للخلافات المذهبية بين أهل السنة :

وحتى يومنا هذا لا يزال بين المسلمين من يرى الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم ضَالَّيْنِ ... مُضِلَّيْنِ . . !! .

وحتى يومنا هذا لا يزال بين المسلمين من يرى الصوفية والتصوف شركاً وخرافة . . !! .

وحتى يومنا هذا لا يزال هناك كثيرون يرمون الشيعة الإمامية بالحجارة ، ويتهمونهم بالكفر والزندقة . . !! .

ومما زاد الطين بلة ، وأشعل نيران القطيعة والفتنة ، اتهام من يزعمون أنهم (سلفيون) غيرهم من المسلمين بأفعال أهل الشرك والكفر ، أو اتهامهم (بالأشعرية)[1] التى لا تتفق مع ما يعتقدون أنه حق .

وماذا يبقى من الإسلام إذا اتهم إمام من أئمته العظام بالمروق والزيغ ؟ .

الإمام الغزالى والفتنة التكفيرية بين الفرق والمذاهب :

يقول الإمام الغزالى فى كتابه « فيصل التفرقة » ردًّا على سؤال وَرَدَ إليه من أحد تلاميذه حول أسباب هذا الخلاف وهذه التفرقة :

« اعْلَمْ أن حقيقة الكفر والإيمان ، والحق والضلال ، لا تنجلى

---

(١) الأشعرية نسبة إلى الإمام الحسن الأشعرى .

للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال ، وإنما تنكشف لقلوب طهرت من أوساخ الدنيا أولا ، ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانياً ، ثم نورت بتذكر عظمة الله تعالى ثالثًا ، ثم زُينت ، بملازمة حدود الشرع رابعًا ، حتى فاض عليها نور مشكاة النبوة ... وكيف تتجلى أسرار الملكوت لقوم اتخذوا إلٰـهَهُمْ هَواهُم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ؟ ! .

فهؤلاء من أين تتميز لهم ظُلمة الكفر من ضياء الإيمان ؟ هل بإلهام إلهى ، وهم لم يفرغوا القلوب من كدورات الدنيا ؟ أم بكمال علمى ، ولا بضاعة لهم فى العلم إلا مسائل النجاسات الحسية ، والمياه المخلوطة ، وغير المخلوطة ؟ ! هيهات هيهات أن ينالوا شيئاً من ذلك المطلب الذى لا ينال بالهُـوَيْنَا ، فلا تُضَـيِّعْ فيهم بقية عمرك ، واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [1] ...

إلى أن قال : فأما أنت إنْ أردت أن تنزع هذه الحكَّة من صدرك وصدر من هو فى حالك ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا تقيده عماية التقليد ، فاطلب من مناظرك ـ من أى طائفة من طوائف المتكلمين ـ

---

(١) سورة النجم ـ الآيتان : ٢٩ و ٣٠ .

بيان حد الكفر ، فإنْ زَعَم أن حد الكفر هو ما يخالف مذهب الأشعرى، أو مذهب المعتزلى ، أو مذهب الحنبلى ، أو غيرهم ، فاعلم أنه غِرٌّ بليد ، قد قيده التقليد ، وناهيك حجة على إقحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، لأنه لا يجد بين طائفة وأخرى فرقًا .

ولعل صاحبك يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعرى ، ويزعم أن مخالفته من الكفر الكلى .

فَاسأَلْهُ : من أين جاء له أن الحق وَقْفٌ على الأشعرى ؟ حتى يقضى بكفر عالم جليل كالباقلانى [1] الذى خالف الأشعرى فى صفة البقاء لله تعالى وقال : إنها ليست وصفًا زائدًا على ذاته تعالى .

ولِـمَ صار الباقلانى أَوْلى بالكفر بمخالفته الأشعرى من الأشعرى إذا خالف الباقلانى ؟ ولِمَ صار الحق وقفًا على أحدهما دون الآخر ؟ .

هل كان ذلك لأجل السبق فى الزمان ؟ إن كان ذلك فقد سبق الأشعرى غيره من المعتزلة ، فليكن الحق للمعتزلى السابق عليه .

أم لأجل التفاوت فى الفضل والعلم ؟ فبأى ميزان أو مكيال قدروا

---

(١) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب ، المعروف بالباقلانى ، البصرى ، كان على مذهب الأشعرى ، سكن بغداد ، وصنف كثيرًا فى علم الكلام وغيره ، وكان فى علمه أوحد زمانه ، وانتهت إليه الرياسة فى مذهبه . توفى رحمه الله فى آخر يوم السبت ، لسبع بقين من ذى القعدة، سنة ٤٠٣هـ ببغداد . وباقلانى نسبة إلى الباقلى . (انتهى باختصار من ابن خلكان) .

درجات الفضل ؟ فإن عجز عن الهمس فى حق الباقلانى وقال : أرخص للباقلانى فى مخالفته للأشعرى ، لأنه مشهور بالعلم والفضل ، فقل له :

لِـمَ حَجَـرْتَ على غيره مِمَّنْ هو مثله فى العلم والفضل ؟ وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسى ، والقلانسى ، وغيرهم ؟ ...

ثم قال : « ولعلك لو أَنْصَفْتَ لعلمت أَنَّ مَنْ جَعَلَ الحق وقفاً على طائفة من هؤلاء بعينها فهو إلى الكفر أقرب ، وذلك لأنه نزل أصحاب هذه الطائفة منزلة النبى المعصوم من الخطأ ، الذى لا يتحقق الإيمان إلا بموافقته ، ولا يلزم إلا بمخالفته ؟! » .

ثم قال : « لعلك بعد هذا تريد أن تعرف ما هو الكفر الذى يُخْـرِجُ عن الملة ؟ وسأعطيك علامة صحيحة تضعها تحت نظرك ، وترعوى بسببها عن تكفير الفرق الإسلامية ، وتكف لسانك عنهم ، وإن اختلفت طرقهم ، ما داموا متمسكين بقول لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ، صادقين مخلصين غير عاملين بما يناقض معناها .

فأقول : الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام فى شىء مما جاء به ، والإيمان هو تصديقه فى كل ما جاء به ، فاليهودى ، والنصرانى ، كافران لتكذيبهما للرسول ﷺ . . والبرهمى كافر ، بطريق الأَوْلَى ، لأنه أنكر مع الرسول ﷺ جميعَ المرسلين . . والدهرى كافر بالأولى من البرهمى ، لأنه أنكر مع الرسول وجود الله سبحانه ، فكل كافرٍ مكذبٌ

للرسول ، وكل مكذبٍ له فهو كافرٌ ، فهذه علامة مطردة منعكسة » .

واعلم أن الذى ذكرناه مع ظهوره تحت غور ، لأن كل فرقة تُكَفِّرُ مُخالِفَهَا وتنسب إليه أنه يُكذب الرسول ﷺ .

فبعض الحنابلة مثلاً يُكفرون الأشعرىَّ ، بزعم أنه كَذَّبَ الرسول فى إثبات الفوقية لله تعالى ، وفى الاستواء على العرش ، وهذا يخالف قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ (1) .

وبعض الأشاعرة ، يُكفرون بعض الحنابلة بزعم أنهم يُشَبِّهُونَ الله بخلقه ويُكذبون القرآن فى قوله : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ ﴾(2) .

وبعض الأشاعرة أيضًا يُكفر المعتزلة ، بزعم أنهم كذبوا الرسول فى جواز رؤية الله تعالى ، وفى إثبات صفات العلم والقدرة وغيرهما له تعالى زائدة على ذاته .

والمعتزلى يكفر الأشعرى بزعم أنه يكثر وجود قدماء مشاركين لله تعالى فى صفة القدم ، وذلك أنه يقول : « إنَّ صِفَات الله تعالى زائدة على ذاته ، وهى موجودة ، فشاركت الله فى القدم ، وهذا تكذيب للرسول فى أن الله واحد ، وأنه هو وحده القديم ، لا شىء يشبهه فى القدم ... إلخ .

---

(1) سورة المُلك ـ من الآية ١٦ .

(2) سورة الشورى ـ من الآية ١١ .

ثم قال : ولا ينجيك من هذه الورطة إلا معرفتك حد التكذيب ، والتصديق ، فينكشف لك غلو هذه الفرق ، وإسرافها فى تكفير بعضها بعضاً .

البعد السياسى لهذه الخلافات فى نظر الشيخ محمد عبده :

يقول الإمام محمد عبده : [1]:

« إن السبب فى بقاء قوة سلطان الخلاف والنزاع هو فشو الجهل ، وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التى ينتسبون إليها ، وبجاهها يعيشون ويكرمون ، وتأييد الأمراء والسلاطين لهم استعانة بهم على إخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلى على الأمة ... ! .

لأن هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينًا لهم مما يحبون من الفساد والإفساد . لأن اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل كذا، مُلزِم للحاكم باتباعهم فيه ، لأن الخواص إذا اتحدوا اتبعهم العوام ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكام... !! » .

كثرة الخلافات بين المذاهب المسيحية :

لقد اتحدت الكنائس المسيحية برغم ما بينها من خلافات جذرية

---

(1) جزء ٢ صفحة ٢٥٤ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة - من الآية ٢٠٨] .

عميقة ، وقد أحصيت بعض هذه الخلافات فراعنى هذا الكم الهائل من الخلافات بين الكنائس المختلفة .

* فقد اختلفوا حول « خليفة المسيح » هل هو بطرس أو مرقس ؟ .

* كما اختلفوا حول أسفار الكتاب المقدس ، وهل كلها صحيحة أم أن بعضها مزيف ؟ .

* واختلفوا حول الروح القدس » ، وهل انبثق من الأب والابن أم من الأب فقط ؟ .

واختلفوا حول أسرار الكنيسة السبعة ، وهل هى سبعة كاملة العدد ، أم أن أسرار الكنيسة تتحصر فى سرين فقط كما يقول البروتستانت ؟ .

* واختلفوا حول « التعميد » ، وهل يكون بالتغطيس الكامل لكل الجسد ، أم يكتفى فيه بالسكب والرش فقط ؟ .

* كما اختلفوا حول « طبيعة المسيح » ، وهل له طبيعتان مختلفتان أم أن له طبيعة واحدة فقط ؟ .

* واختلفوا حول اسم السيدة « مريم » ، وهل كان لها أولاد غير المسيح أم أن المسيح هو ابنها الوحيد فقط .

* كما اختلفوا حول اسم السيدة مريم أهى أم الإله ، أم أنها أم المسيح فقط ؟ .

* واختلفوا حول « البابا » ، وهل يجوز عليه الخطأ أم أنه معصوم من الخطأ ؟ .

* كما اختلفوا حول « الصيام » ، وهل هو واجب أم أنه متروك لحرية الفرد فقط ؟ .

* كما اختلفوا حول « تناول الأطفال للقربان » ، أى تناول الخبز والخمر اللذين يتحولان إلى دم وجسد المسيح . . !!وهل هو جائز للأطفال أو غير جائز ؟ .

* واختلفوا حول « سر الميرون » أى المسح بالزيت ـ وهل يجب بعد التعميد ، أم يؤجل إلى سن البلوغ والنضج ؟ ! .

* واختلفوا حول المكان الذى ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ، وهل يدخل الجنة أو النار مباشرة ، أم أن هناك مرحلة انتقالية يتقرر بعدها مصير الإنسان إلى الجنة أو إلى جهنم ؟! .

كما اختلفوا حول تطليق الزانى أو الزانية ، فالكاثوليك يمنعون وقوع هذا الطلاق فى حين يبيحه غيرهم ، كالأرثوذكس ، والبروتستانت .

لماذا اتَّحَدَت الكنائس برغم الخلافات ؟ وكيف ؟ :

وبالرغم من كل هذه الخلافات التى تتناول العقائد والشرائع عند كل طائفة ، ويكفر بعضهم بعضاً بسبب هذه الاختلافات العقائدية المعروفة ، فإنهم جميعاً قد اتحدوا أخيرًا تحت مظلة « مجلس الكنائس » وهذا الاتحاد لم يكن من أجل التصحيح ، أو الاتفاق على رأى دينى صحيح ، بل كان هذا الاتفاق وهذا الاتحاد لمواجهة الإسلام والمسلمين .

والمصيبة الكبرى أن « الكاثوليك » أو « الفاتيكان » كان له من إسرائيل موقف متشدد ، وكان يفسر النبوءات تفسيرًا يخالف ـ شكلاً وموضوعاً ـ تفسيرات رجال الدين « البروتستانت » . . فأرض «الميعاد» لم تكن عند « الكاثوليك » تعنى منطقة جغرافية معينة ، بل كانت تعنى حقيقة روحية تجمع شمل المؤمنين فى « مملكة الله » فقط .

اليهود كما وصفهم المسيح ، وكما وصفتهم الأناجيل :

وقد بين المسيح عليه السلام أن مملكة الله ليست كياناً سياسيًّا يلم شمل اليهود ، وإنما هى حقيقة روحية موطنها القلب : .

(ولما سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ أجابهم وقال : لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ، ولا يقولون هو ذا ها هنا ، أو هو ذا هناك ، لأن ملكوت الله داخلكم) « لوقا : ١٧ ـ ٢٠ » .

وطبقا للعهد الجديد ، فإن ورثة أرض الميعاد الروحية ليسوا بنى إسرائيل . وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح ، لأنهم نسلُ إبراهيم الحقيقيون . .

يقول القديس بولس :

(وشعب الله المختار ـ فى العهد الجديد ـ ليس جنساً بعينه هو ما يسمى بالجنس الإسرائيلى ، وإنما هو شعب عالمى من مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح ... وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله) « يوحنا ١ ـ ١٢ » .

والمسيح ذاته أدان اليهود ، وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار حين قال لهم : (لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى . . أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا) « يوحنا ٨ ـ ٤٢ » .

كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له، وقرر أنهم لن يكونوا فى الجنة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب :

(وأقول لكم : إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السماوات . . وأما بنو الملكوت « اليهود » فيطرحون إلى الظلمة الخارجية . . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان) « متى : ٨ / ١١ ـ ١٢ »[١].

وكل نصوص التوراة التى تتحدث عن عودة اليهود إلى فلسطين أصبحت تعنى عودة الكنيسة الكاثوليكية إليها ، أو تعنى عودة اليهود من النفى البابلى . . أى أنها تنبؤات تحققت فى الماضى ولا ينتظر تحقيقها فى المستقبل .

كما أن كلمة إسرائيل نفسها أصبحت تعنى الكنيسة المسيحية . . ولقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية إلى عهد قريب ترفض فكرة قيام كيان صهيونى فى فلسطين من منطلق لا هوتى .

---

(١) العهد القديم والعهد الجديد ـ طبعة دار الكتاب المقدس . القاهرة .

الأب « برياك » يصف اليهود :

يقول الأب برياك[1] عن اليهود .

« إن الخيانة فى جوهرها يهودية ، فإذا قلت : (خيانة) فإنك تعنى اليهود » . . ويقول : « إن أول خائن يعرفه تاريخ فرنسا يهودى » . . ويقص حكايات كثيرة عن خيانات يهودية .

ولكن هذا الأب يحمله الحماس إلى قول سخافات ، مثل زعمه أن اليهود أيدوا الإسلام ليحاربوا به المسيحية !! .

وقال : إن هذا المعنى قال به أب دومينيكى يسمى« Thierry » فى كتاب له عنوان « من موسى إلى محمد «De Mose á Mohammad » ثم يضيف : « إن العلاقة بين المسيحية واليهودية مثل العلاقة بين أعلى درجات السلم وأدناها . . وأن طيبة قلب المسيحيين هى التى سمحت لبعض اليهود بالصعود فى السلم الاجتماعى عن طريق التنصُّر ، وأن اليهـود لا يحترمـون غير القـوة ، والذين يتنصرون منهم إنما يبايعون القوة لا المسيح»! .

ويسخر هذا الأب من كل محاولة للتقريب بين المسيحية واليهودية قائلا : إنها محاولات لخداع المسيحيين . وينتقد البابا بيوس الحادى عشر، لأنه قال : إننا ساميون من الناحية الروحية .

---

(١) نقلا عن كتاب (كيف نفهم اليهود) للدكتور حسين مؤنس ـ ص ٣٦ وما بعدها ، سلسلة كتابك ـ دار المعارف .

وفى فقرة طويلة يذكر الأب برياك مثالب اليهود وما اشتهروا به من ذميم الصفات ، ومن ذلك قطعة من الشعر اللاتينى نظمها شاعر يسمى سيسا « Sessa » كانت شائعة فى العصور الوسطى كلها تقول :

« جنسٌ مُـحْتَـقَر ، كريه الرائحة ، وَقِحٌ ، حسود . . ناشرُ أمراضٍ بلا شرف ، مهمل ، بغيض ، خسيس . . قذر ، بخيل ، عنيد ، ملعون ، مشاكس . . لا تُقَى فيه ، جحود ، جشع ، غير كريم ، شديد العداوة » .

ومن ذلك ما قاله « فكتور هيجو » فى يهودى تنصر على يد البابا ، ثم عهدوا إليه بعد ذلك فى مرافقة الدوقة دوبيرى لحمايتها فى السفر ، فباعها بخمسة آلاف فرنك !! .

الشرف ، والإيمان ، والقسم . .

ذلك ما باعه اليهودى دون ألم ... !!! .

ومن ذلك أيضًا ما قاله الفيلسوف الفرنسى بوسويه :

« أيها الشعب الملعون ، هذا الدم سيتعقبكم إلى آخر وليد لكم » .

وماقاله البابا بولس الرابع : من أنهم شعب خلق للاستعباد ، وأنهم شعب غاية فى السخف . وهو الذى أمر بأن يُحبس يهود روما فى حواريهم ، أى أنه أنشأ « الجيتو » الرومانى .

وقد حرصت الكنيسة أجيالاً متوالية على إنكار أن السيد المسيح كان يهوديًا ، ولو أنه وُلد بين اليهود ، ولهذا قالت بأصله الإلهى ،

وبقلبه المقدس ، واسمه المقدس ، والمسيح الملك ، وما إلى ذلك من العبارات التى تنفى نفيًا باتًّا أى صلة بين المسيح ويوسف النجار ، وتؤكد أنه ابن الله . . !!

واستمرت الكنيسة تنص على ذلك حتى آمن الناس فى أورُبا بأن السيدة العذراء ليست من آل هارون ، وإنْ كانت قد ولدت فيهم . . فكان المسيحيون وهم يقتلون اليهود فى مذابحهم الكثيرة فى أوربا يهتفون : تحيا مارية . . !!

وقد أنكرت السيدة العذراء نفسها أى صلة باليهود عندما ظهرت - فى الأسطورة - لبرناديت ، وقالت : أنا الحَمْل (بفتح الحاء وسكون الميم) الطاهر .

ويقرر الكتاب ما كان اليهود فيه من ذل فى أُوربا طوال العصور الوسطى ، فإلى جانب الاحتقار والمهانة والمقاطعة وإرغامهم على العيش فيما يسمى « بالجيتو » - وهى حارات ضيقة قذرة ، ذات كهوف وسراديب تحت الأرض - كانوا يتعرضون لكل صنوف الأذى دون أن يتعرض من يؤذيهم لأى لوم . . !! .

ففى عيد « أحد السعف » فى مدينة بيزييه فى جنوبى فرنسا ، كان الجمهور يتسلى بمطاردة اليهود ورميهم بالأحجار ، زاعمين أنهم بذلك ينتقمون منهم لما اقترفوه فى حق السيد المسيح . . !! .

وفى « تولوز » كانت العادة أن يستدعى رئيس اليهود إلى بيت الحاكم

يوم « أحد الفصح » حيث يتلقى أمام الناس صفعة عنيفة انتقاماً للمسيح ، وقد تعمد أحد الفرسان مرة أن يصفع اليهودى بيده فى قفاز حديد ، فضربه ضربة تناثر منها مخه !! .

وفى روما كانوا يرغمون اليهود على الرقص عرايا فى مهرجان الفصح أمام الناس أجمعين والسياط تلهب ظهورهم إذا تراخوا فى الرقص !! .

وكان أحد البابوات يأمر بوضعهم فى براميل تبرز من جدرانها المسامير ، وتدحرج من أعلى تل تستشيانوا .

وفى أسبانيا والبرتغال كانوا يُحرَقون أحياء بالمئات ، وآخر يهودى أُحرق فى أسبانيا كان سنة ١٨٢٥ م .

وفى « جنوا » كانوا يحبسون فى أقفاص حديدية ويحرمون الطعام والماء إلى أن يُقَبِّلُوا الصليب ، وقد مات الكثيرون منهم دون أن يقبلوا[١] .

وثيقة التحريف اللاهوتى فى «الفاتيكان» :

غير أن الموقف بدأ يتغير ، والتجديفات والتحريفات بدأت تزحف على كتابهم المقدس ، ففى عام ١٩٦٥ م صدر عن المجمع الفاتيكانى الثانى وثيقة خاصة بالعلاقة بين الفاتيكان واليهود .

تقول هذه الوثيقة :

« إن هذا المجمع المقدس إذ يتقصى سر الكنيسة يذكر الرباط الذى

---

(١) المصدر السابق .

يربط روحيًا (شعب العهد الجديد) بذرية إبراهيم . . ولا تبرح أبدًا أمام ناظرى الكنيسة كلمات بولس الرسول فى بنى قومه ، الذين لهم التبنى والمجد ، والعهود والناموس ، والعبادة والمواعيد ، لهم أيضاً الآباء ، ومنهم المسيح ـ بحسب الجسد ـ ابن مريم العذراء ، وأنها تذكر أيضاً بأن الرسل الذين هم عواميد الكنيسة وأساساتها ولدوا من الشعب اليهودى ، وكذلك كثير من أولئك التلاميذ الأولين الذين بشروا العالم بإنجيل المسيح .

ويشهد الكتاب المقدس بأن (أورشليم) جهلت زمان زيارتها ، وأن اليهود فى معظمهم لم يقبلوا الإنجيل . . لا بل كثيرون هم الذين قاوموا انتشاره . . غير أن اليهود ـ كما يقول الرسول ـ لا يزالو ن ـ بسبب الآباء ـ أعزاء لدى الله ، لأن مواهب الله ودعوته هى بلا ندامة .

وبما أن للمسيحيين ولليهود تراثاً روحيًا مشتركًا وسامياً ، يريد هذا المجمع المقدس أن يوحى بالمعرفة والاعتبار المتبادلين ، وأن يعززهما بين الاثنين ، وأن تكون سلطات اليهود وأتباعها هى التى حرضت على قتل المسيح ، فلا يمكن مع ذلك أن يعزى ما اقترف فى أثناء آلامه إلى كل اليهود الذين كانوا يعيشون آنَ ذاك دونما تمييز ، ولا إلى يهود اليوم . . وأن تكون الكنيسة شعب الله الجديد . . يجب مع ذلك ألاَّ ينظر إلى اليهود كمن أذلهم الله ولعنهم ، كما لو كان ذلك ناتجًا من الكتب المقدسة ! .

علاوة على ذلك أن الكنيسة التى تشجب الاضطهادات كلها ضد

الناس ـ أيًا كانوا ـ تتأسف للبغضاء ، وللاضطهادات ، ولكل مظاهر مقاومة السامية التى استهدفت اليهود فى أى زمن كان ، وأيًا كان مقترفوها . . والكنيسة لا تدفعها فى ذلك الدوافع السياسية ، بل محبة الإنجيل الدينية ، متذكرة التراث المشترك مع اليهود »(١) .

وسرعان ما أتبعت هذه التبرئة الرسمية من دم المسيح بحذف سائر الصلوات التى تتضمن إدانة اليهود(٢)!!

دور مصر التاريخى فى الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية

فلماذا ـ نحن المسلمين ـ دون غيرنا نُصِرُّ على العداوة والحرب ؟ . . ونختلق ـ فيما بيننا ـ خلافات تفرق بين الشقيق والأخ ؟ . .

لقد كانت مصر هى الرائدة فى مضمار التقارب ، وكانت مصر ـ ولا تزال ـ هى الرجاء والأمل فى التقريب بين مختلف المذاهب . . كما كانت مصر ـ وستظل ـ واحة الإخاء والتسامح .

فعلى أرض مصر الطيبة وفى رحاب الأزهر الشريف نشأت دعوة التقريب . . وأعلن علماء الأزهر وأئمته الكبار نبذ أسباب الخلاف والتفرقة بين المسلمين .

---

(١) الوثائق المجمعية للمجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى ـ دار المشرق ش . م . منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ١٩٦٩م ـ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤ .

(٢) دليل جديد على أن القوم يحرفون كتبهم وعقيدتهم حسب الظروف .

وباسم مصر وعلى أرض مصر ـ ومنذ خمسين عاماً ـ أعلن الشيخان عبد المجيد سليم ، ومحمود شلتوت تأسيس جمعية للدعوة إلى التقريب .. جمعية لا صلة لها بالسياسة ، ولا صلة لها بأنظمة الحكم .. فالسياسة تتغير كبندول الساعة مع كل حركة .. ! والحكم تختلف سياساته وتوجهاته باختلاف الـرُّؤَى والأحداث فى كل ساعة .. ! .

كان الوضع قبل تكوين جماعة التقريب يثير الشجن ، فالشيعى والسنى كان كل منهما يعتزل الآخر .. وكان يعيش كل منهما على أوهام ولدتهـا فى نفسه الظنون ، أو أدخلتها عليه سياسة الحكم والحُكَّام ، أو زينتها له الدعاية المغرضة ، وساعد على بقائها قلة الرغبة فى الاطلاع .

كانت الكتب المشحونة بالطعن والتجريح تُتَدَاول بين أبناء كل فريق ، وتلقى عند كُلِّ فريقٍ أحسن القبول ، حتى لو تكلمت عن طوائف وعقائد لا وجود لها على سطح البسيطة (١) .

كان يسودُ الفريقين جَوٌّ من الظلام ، فلا يرى أحدهما من صورة الآخر إلا شبحاً تحيط به الظلمة ، ولا يتكلم عنه إلا بما توحى به الظلمة ، ولا يقرأ عنه إلاَّ ما تسمح به حلكة الظلام .

فإذا أَلَّفَ أحَدٌ من أبناء الفريقين كتاباً ، فهو لا يعرض إلاَّ آراء مذهبه ، ولا يدافع إلاَّ عنها ، ولا يسير إلاَّ إليها ، وإذا طلب الأمر إشارة

---

(١) فكثير من هذه الطوائف قد انقرض ، ولا يمتون إلى الشيعة الإمامية بِصِلَة ولا سبب .

إلى ما فى غير مذهبه ، فلا تكون إشارته إلاَّ طعناً واتهامًا ، أو ترديدًا لما سمعه أو قرأه أو ورثه عن آبائه القدامى .

وبذلك كَبَّرُوا الخلافات وضَخَّمُوهَا ، ورددوا الشكوك وأسفوا فيها ، حتى أصبح كل معنى يؤيد الوحدة يفسر فى ظل الشكوك بما يوجب الفرقة ، بل وصل الأمر إلى التشكك فى وحدة المصحف ، وشك كثير من أهل السنة فى أن يكون مصحف الشيعة هو المصحف الذى فى أيدى سائر المسلمين ، ومع ذلك لم يكلف أحدهم نفسه مئونة التقليب فى نسخة من ملايين النسخ التى فى متناول يده ، ولو أنهم فعلوا، لذَهَب الشك ، ولَحُلَّتِ الْـمُشكلة .

إن هناك قصة تُـرْوَى ـ لست أدرى إنْ كانت واقعية أم صنعها الخيال :

لقد رووا أن قاضياً فى إحدى البلاد رأى يوماً نفرًا يمسكون بتلابيب رجل ويجرونه إليه ويقولون :

هذا الرجل يُكَـذِّبُ المؤمنين العدول ، فقد شهد شاهدان عدلان بوفاته منذ سنين ، ثم هو يظهر بين ظهرانينا ، وهو بوجوده هذا يقذف فى عدالة الشهود!! .

فما كان من القاضى « الألمعى » إلاَّ أن قال : كيف نصدق أنك حى ونكذب شاهدين عدلين شَهِدَا بموتك من قبل ؟! وحكم بعدم وجوده!! .

وهكذا تكونت « جماعة التقريب » معتمدة على الله ، وعكفت على البحث الدائب والعمل المستمر ، والاتصال بالمراكز الدينية فى كل بلد إسلامى اتصالاً هادئاً مثمرًا ، وابتعدت بنفسها عن الدعاية ، ولكن الدعاية جاءتها من قِبَل المعارضين ، فإن المتعصبين والمتزمتين وذوى النزعات والأغراض رأوا فى نشاط الجماعة بدعة لا يصح السكوت عليها، فبدءوا هجومهم على الفكرة وعلى الجماعة ، واشتد هجومهم بمرور الأيام ، وليس بيننا من لم يأخذ نصيبه من هجومهم كاملاً غير منقوص .

لكن الجماعة هيأت نفسها لهذا من أول الأمر ، لأنها تعلم أنها تواجه رواسب قرون ، وكانت تتوقع حملات فيها الطعن والتجريح ، وبدل أن تضعف الهجمات العزائم شحذت الهمم وقَوَّت الجماعة على السير بالفكرة إلى النهاية .

وكانت هذه الهجمات نفسها دليلاً على ضرورة فكرة التقريب للمجتمع الإسلامى كى يتخلص من العناصر البغيضة ذات التفكير السقيم الذى يبلبل الخواطر ، ويصرف الأذهان عَمَّا ينفع الناس ويمكث فى الأرض .

إن تكوين الجماعة نفسه كان توفيقاً ، لأنهم هَيَّئُوا للمسلمين مركزًا يصلح للنظر فى مشكلاتهم ، ويلتقى فيه رجال الإسلام من كلتا الطائفتين ، ويظله الهدوء وتقدير المصلحة ، ويسوده الوفاق لا الخصام .

وكأن المسلمين بمشاكلهم الطائفية كانوا فى ظلام لا يَرى بعضُهم من بعض إلا أشباحاً مخيفة ، وكأن الجماعة أضاءت لهم ، لترى كل طائفة أختها على حقيقتها لا على وحى الظلام ، ولقد كان للسان الجماعة مجلة « رسالة الإسلام » دور عظيم ، إذ جعلت توصل الفكرة إلى مكتبات العلماء ورجال الفكر . وكان كل عدد منها يزيل الستار عن جزء من المحجوب ، ويكسب عددًا أكبر لجانب التقريب . وتبين بوضوح أن المسلمين لا يختلفون فى كتابهم ، ولا فى صلواتهم ، ولا فى صومهم ، ولا فى حجهم ، بالإضافة إلى اتفاقهم المطلق فى أصول العقائد وأصول الدين والتوحيد والنبوة . وليس يضيرهم أن يكون لبعضهم أصول مذهبية خاصة ، كالولاية عند الشيعة ، الذين يرون أن عليًّا وأولاده أحق بها من غيرهم .

لقد قرأ السنى عن الشيعة أبحاثهم واستنباطهم وأُعجب بالكثير منها . وقرأ الشيعى عن السنة أن أهل البيت مجمع بينهم على حبهم وإكرامهم ، وأن ما صدر عن بعض الظالمين لا يمثل رأى السنة فى أهل البيت .

وعرف أهل السنة أن الشيعة يعتبرون الغلاة نجساً ، ويحكمون بكفرهم ، ويحكمون بخروج أصحاب الحلول كذلك [1] .

وإذن فشتان بين الشيعة على حقيقتها ، والشيعة التى تصورها

(١) كالإسماعيلية .

المُتَصَوِّرُونَ . وشتان بين الناصبى الذى كان يُناصب أهل البيت العداء ، وأهل السنة الذين يرون فى حب أهل البيت عبادة ، ويصلون عليهم فى تشهدهم :

« اللهم صَلِّ على محمد وآل محمد ... وبارك على محمد وآل محمد ... »

ومن فضل الله العلى الكبير أن اقترنت هذه الخطوة بخطوة أخرى جليلة الشأن ، هى تلك الفتوى التى أصدرها صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبد على أى مذهب من المذاهب الإسلامية التى عُرفت أصولها ونُقلت نقلاً صحيحاً ، فلقد كانت هذه الفتوى ثمرة بالغة من ثمار التقريب ، صدرت من رجل عظيم ذى مركز خطير فى الإسلام ، اعتنق الفكرة من أول يوم وأيدها بقلمه وعلمه إلى أن فارق هذه الحياة . .

لماذا نشأت فكرة هذا الكتاب ؟ :

لقد صدر هذا الكتاب عن عاطفة إسلامية بحتة . . عاطفة تستهدف بناء جسور الإخاء والمحبة بين أبناء الإسلام فى مختلف أقطار العالم . . عاطفة نابعة من قلب مسلم يؤرقه هوان المسلمين دون غيرهم من الأمم ، وينام ويصحو على أخبار المذابح التى يُسَاقون إليها سوق الغنم . . !! وينام ويصحو على أخبار الحرائق التى تشتعل فى أى مكان وجد فيه مسلمة أو مسلم . . !! .

مخطط خطير لحلف « الناتو » :

إن العالم الإسلامى يتعرض لمجابهة خطيرة ـ كما يقول « صمويل هننجون » فى كتابه « صراع الحضارات » .

فى العام الماضى سافرت إلى « أذربيجان » لحضور مؤتمر إسلامى فى عاصمتها « باكو » . وفى طريق العودة إلى القاهرة قضيتُ ليلتين فى فندق « هوليداى إن » فى مدينة « استانبول » .

لقد التقيت مصادفة فى هذا الفندق بأخ بلجيكى مسلم ، لقد أخبرنى هذا الأخ عن قريب له يعمل فى مقر منظمة حلف شمال الأطلسى (NATO) بمدينة « بروكسل ، وقد سمع الأخ البلجيكى المسلم من قريبه الذى يعمل فى مقر منظمة هذا الحلف هذه القصة المثيرة للألم والتعجب :

ففى إحدى الحانات(BAR) الواقعة فى شارع « روزفلت » بمدينة «بروكسل » جلس هذا القريب مع عضو بارز فى منظمة هذا الحلف يحتسيان الخمر ، وكانت شبكة الأخبار العالمية « C.N.N» تبث ـ مصادفة ـ برنامجًا عن العالم الإسلامى . . وفجأة ـ وبعد أن لعبت الخمر برأس هذا العضو البارز ـ قال هذا العضو وهو يهذى من شدة الخمر :

إن العالم الإسلامى يجب أن يذهب كما ذهب الاتحاد السوفيتى ، وقد وضع الحلف خطة متكاملة لتنفيذ هذا الهدف . . !! .

ثم قال : وهناك اتفاق بين أُوربا والولايات المتحدة والفاتيكان على تفاصيل هذه الخطة . . !! .

وقد بدأ تنفيذها بإثارة الحرب بين العراق وإيران من جهة ، ثم بين العراق والكويت من جهة أخرى . . ! .

إننا - يقول هذا المسئول - نحن الذين وضعنا « سيناريو » هاتين الحربين . . !! وكان الهدف - كمرحلة أولى - تدمير القوتين العسكريتين لكل من إيران والعراق لمصلحة إسرائيل من ناحية ، ولإيقاع الخلاف بين العرب والعرب من ناحية ، وبين العرب وإيران من ناحية أخرى !! .

والسودان ... إننا لا نهتم بمشكلة الأقليات إلاَّ حين يكون ذلك لصالحنا . . ! والذى يحدث فى السودان خُطِّطَ له منذ أيام الملكة فكتوريا . . ! فالسودان بحدوده الواسعة وإمكانياته الهائلة مصدر خطر وقلاقل . . فالمسلمون - مثلا - يشكلون أغلبية فى معظم أقطار شمال وغرب وشرق ووسط إفريقيا . .

حتى فى أثيوبيا يمثل المسلمون الغالبية العظمى . . ويمكن فى حال استقرار السودان أن تلتحم هذه الأغلبيات فى وحدة إسلامية تهدد - بل تدمر - جميع مصالحنا . . ! .

يقال مثل ذلك عن نيجيريا . . لقد اضطرت نيجيريا تحت ضغوط عملائنا إلى تجميد عضويتها فى منظمة المؤتمر الإسلامى ! إن نيجيريا معرضة للتقسيم فعلاً . . وما حدث فى « بيافرا» بقيادة « أوجوكى »

يمكن أن يتكرر حدوثه لو أَحْسَسْنَا بأى تحرك إسلامى أصولى فى نيجيريا!! .

كما أن هناك « بؤرًا » مرشحة لإثارة أسباب التوتر والانقسامات فى الشرق الأقصى ، يأتى فى مقدمتها كل من باكستان ، وأفغانستان ، وماليزيا ، وجمهوريات آسيا الوسطى التى أصبحت تشكل خطرًا على روسيا !!.

المسلمون يحاورون النصارى واليهود ولا يحاورون المسلمين :

والسؤال هو : إذا كانت أبعاد هذه المؤامرة معروفة ، فلماذا لايقف المسلمون صَفًّا واحدًا لإجهاض هذه المؤامرة ؟ ! .

بل لماذا يقف البعض منا موقف العداء والكراهية لإخْـوَةٍ له فى الإيمان والمصير والعقيدة ؟ ! .

« ... أليس مثيرًا للدهشة أن يتحاور المسلمون مع طوب الأرض وخشاشه ولا يَـتَحَاوَرُونَ مع أنفسهم ؟ .

أليس غريباً أن نتبارى فى الدعوة إلى رحابة الصدر وسعته عندما نتحدث إلى الآخرين ، فى حين تضيق صدورنا ، وتُصَمُّ آذاننا إذا جاءت سيرة الحديث مع بعضنا البعض؟ »[1] .

أليس محيرًا ذلك السباق فى ترتيب الندوات واللقاءات فى مختلف

---

(١) فهمى هويدى ـ التدين المنقوص ـ دار الشروق ـ ص ٩٥ و٩٦ .

شئون الماضى والحاضر والمستقبل الذى لا يمر ـ ولو مصادفة ـ بطريق التقريب بين مذاهب المسلمين وفرقهم ؟ .

أليس مريباً ومثيرًا للشك أن تلتقى مختلف الفصائل من أعدائنا وأصدقائنا فى تجمعات يتزايد عددها وتتنوع مجالاتها يوماً بعد يوم فى حين تُزرع الألغام ، وتُوضع الحواجز والأسلاك الشائكة ، وتُحفر الخنادق ، وتنصب المتاريس ، فيما بين مختلف فصائل المسلمين ؟ .

أليس محزناً أن يبحث الجميع عن نقاط للالتقاء يبنون فوقها وينسجون حولها الكثير من طموحات الانطلاق نحو المستقبل ، فى حين لا تثار بَيْنَنَا سوى خلافات القرون التى خلت ؟ .

إن هذا الواقع المر كفيلٌ وحده بأن يُدْمِىَ قلب أى مسلم يملك ذرة من الغَيْـرَةِ على دينه ، أو ذرة من الصدق مع ضميره ، فما بالكم بمن يجىء ليضيف إلى هذا كله مزيداً من المـرَارَات ، بل وليسدد إلى الجسد الإسلامى الواهن مزيدًا من الطعنات الموجعة والخبيثة ؟ الذى أعنيه تحديدًا هو تلك المحاولات التى تجرى للوقيعة وإشعال نار الفتنة بين السنة والشيعة .

وهى ليست مصادفة أن يستثمر مناخ المد الإسلامى الراهن ، وأن تُستغل الحرب بين العراق وإيران ، التى لم يَقُلْ أحد إنها حرب بين السنة والشيعة ، وأن تتصل حلقات الفتنة فى العالم العربى بعد الذى قادت إليه الحرب الطائفية فى لبنان .

ليست مصادفة أن ينشط رسل البغضاء والوقيعة فى هذه المرْحَلَةِ

لتتسع رقعة الحريق ، وليمتد لهيبه إلى مختلف أرجاء وطننا الكبير ، ناثرًا الشرار والدمار ، وآتيًا على الأخضر واليابس .

ليست مصادفة أن تلقى هذه السموم ، فى وقت تتأهب فيه القوى الكبرى لكى تحكم بَسْط سلطانها العسكرى على العالم العربى ، وتتربع فيه إسرائيل على عرش القوة والبطش فى المنطقة ، وتقمع فيه الإرادة العربية بالسيف من ناحية ، وبالقنابل العنقودية والانشطارية من ناحية ثانية ، وتخضع الخارطة العربية كلها لمعادلات ومخططات جديدة تتغير فى ظلها الجغرافيا جنباً إلى جنب مع التاريخ .

فى هذا السياق تكون الفتنة بين السنة والشيعة مطلبًا [١] ، وحلقة جديدة فى المسلسل الجهنمى الذى نحن أبطاله وضحاياه [٢] . . !! .

* * *

---

(١) أى : مطلباً لأعداء الإسلام والمسلمين .

(٢) المصدر السابق .



قرار شيخ الأزهر
بشأن الحوار بين الأديان

أما بعد ففى اليوم السادس من شهر جمادى الأولى من سنة ١٤١٨ هجرية أصدر شيخ الأزهر قرارًا هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار شيخ الأزهر
رقم (٧٢٢) لسنة ١٩٩٧م

- بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م فى شأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، والقوانين المعدلة له .

- وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م المشار إليه .

- وعلى كتاب الكاردينال أرينزى رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان بالفاتيكان المؤرخ فى ٢١/١/١٩٩٦م فيما تضمنه من اقتراح إنشاء لجنة اتصال دائم بين الأزهر الشريف والمجلس البابوى للحوار بين الأديان بالفاتيكان ، والالتزام بالمساهمة فى إظهار الوجه الحقيقى والصادق للإسلام للعالم غير الإسلامى .

- وعلى مشروع الاتفاق الذى أعده الأزهر للجنة الحوار بين الأزهر الشريف والمجلس البابوى للحوار بين الأديان .

قــرر

المادة الأولى :

تشكل لجنة دائمة لحوار الأديان السماوية تكون مهمتها توفير الإطار المتخصص والمقابل للمؤسسات الدينية العالمية التى تعمل فى مجال حوار الأديان السماوية ، تدعيمًا لدور الأزهر فى نشر صورة الإسلام الصحيحة على الساحة العالمية على النحو التالى :

١ ـ فضيلة الشيخ / وكيل الأزهر ، ممثلاً لشيخ الأزهر رئيساً .

٢ ـ فضيلة الشيخ/ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضوًا .

٣ ـ السيد الدكتور / رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية

٤ ـ عضو من مجمع البحوث الإسلامية يكون مجيدًا للغة الإنجليزية ، وعمل فى المجالات الثقافية فى الخارج وفى الجامعات المصرية ، يتم اختياره من شيخ الأزهر عضوًا .

٥ ـ السيد رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية والمشرف على مكتب شيخ الأزهر. أميناً للجنة الحوار .

المادة الثانية :

تشكل لجنة فرعية بقرار يصدر من وكيل الأزهر ـ للاتصال بين الأزهر والمجلس البابوى لحوار الأديان بالفاتيكان برئاسة وكيل الأزهر ، وعضوية رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، يكون نائباً لرئيس اللجنة ـ وكذلك أحد أعضاء مجمع

البحوث الإسلامية ، فضلاً عن خبراء بصفتهم الشخصية . وتكون مهمة اللجنة الفرعية إجراء الاتصال بين الأزهر والمجلس البابوى لحوار الأديان بالفاتيكان ، ومتابعة تنفيذ المشروعات والقرارات التى تتخذها اللجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية ، وعرض تقاريرها أولاً بأول على اللجنة الدائمة .

المادة الثالثة :

يضم إلى اللجنة الدائمة للحوار ، أو اللجنة الفرعية للاتصال مستقبلاً ، خبراء بصفتهم الشخصية لمعاونة هذه اللجان فى تحقيق أهدافها ، ويصدر بضمهم قرار من شيخ الأزهر ، أو وكيل الأزهر بحسب الأحوال .

المادة الرابعة :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ، ويلغى كل ما يخالفه من قرارات .

صدر فى : ٦ من جمادى الأولى سنة ١٤١٨هـ

الموافق : ٨ من سبتمبر سنة ١٩٩٧ م

شيخ الأزهر

(دكتور / محمد سيد طنطاوى)

هيا نتفق قبل أن نَضِيع :

ترى ... متى يصدر مثل هذا القرار لإجراء مثل هذا الحوار بين علماء الأزهر فى « مصر » وبين علماء المسلمين فى « قُمْ » ؟ ! .

ومتى يُرْفَع ستار القطيعة بين المسلمين فى مصر والمسلمين فى غير مصر ؟ ! .

بل . . لماذا وإلى متى لا يحيى الأزهر مشروعه القديم بالدعوة إلى التقارب والتفاهم بين « السنة » و « الشيعة » كما كان عليه الحال من قبل ؟ !

حتى لا نكون من الذين قال الله فيهم ﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١) . . واستجابة لقوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (٢)

والله هو الهادى إلى طريق الحق وإلى سواء السبيل .

---

(١) سورة الروم : الآية ٣٢ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ١٠٣ .

الفهــرس

الموضوع	الصفحة

